











# صوتك صوتنا

« أشعران المندوب الثلاثيني  
إذا تقدم يوم الانتخاب ليعطى  
صوته فسوف يتجرد من كل تأثير  
الا تأثير ضميره . وسوف  
لا يسمع صوتا الا صوت الوطن .  
وسوف لا يري عليه رقيا الا  
الله »

ما فظ رمضان

مجموعة خطب

في الحملات الانتخابية

سنة ١٩٦٣

للأستاذ

محمد حافظ بك رمضان

رئيس الحزب الوطنى

مطبعة جريدة الصباح





صاحب العزة الاستاذ محمد بك حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى





## مقدمة

من الانصاف أن يعمدق اليقين بأن هذه الامة تقية الجوهر صافية المعدن . فلن تفسد جوهرها الا ضاليل ، ولن تعكر صفاء معدنها الا باطيل . نعم : فانه لم يكذب حين وقت العمل في الانتخابات للبرلمان حتى خرجت من تحت الاقدار الالهية جماهير المؤمنين الثابتين على المبادئ الصادقة فأخذوا يهيبون برئيس الحزب الوطني أن يتسلم القيادة وهم له أنصار وجنود ، والمبادئ من فوقهم أعلام وبنود . يجزون ناصية الباطل بسيف الحق ليفتحوا أمام المبادئ الكفيلة بالحياة طريق الفوز وسبيل النجاح

هكذا فعل الرئيس الامين ، وهكذا فعل رجال الحزب الوطني جميعا ، ثم ما هي الا أن ارتفع صوت الاسكندرية يدعو رئيس الحزب أن يخطب فيها خطبته الجامعة ، وتوالى حفلات الانتخاب في دار اللواء تارة وفي الدور الفسيحة بدائرة الدرب الاحمر تارة أخرى . وأقبلت الجموع من المندوبين الثلاثينيين ، ومن أهل الفضل ، وخاصة المتعلمين ، وأصحاب الوجاهة والنبيل من التجار والاعيان ، وخيار الشباب من طلبة المدارس العالية والثانوية والمعاهد الدينية ، يحدوهم جميعاً اخلاص لا تشوبه غاية ، ومبدأ لا يزعه مطمع ، وكانوا في كل حفلة يأبون الا أن يروا أستاذنا الكبير حافظ بك رمضان رئيس الحزب الوطني خطيباً يفضح سيئات

السياسة الانكليزية بلسان لا يعرف المداراة. ومنطق لا مداهنة فيه ولا مداجاة  
ولسنا نطيل في وصف التأثير وكثرة الاقبال وسطوع الحجة التي  
هدت الحائرين، وأرشدت التائهين، وكشفت الغطاء عن قلوب المخدوعين،  
بل حسبنا أن نكل ذلك لمن سيقراءون هذه الخطب ابروا كيف يملكهم  
ما فيها من حق وصراحة واخلاص، وهنالك يعرفون الى أى مدى بلغ فعلها  
في نفوس من سمعوها

وستظهر هذه الخطب الجليلة في هذه المجموعة بينما لا تزال الجماهير  
الكثيرة من أبناء القاهرة مشغوفة بدعوة رئيس الحزب الوطني الى حفلات  
انتخابية تقام في جهات الدرب الأحمر والخليفة وغيرهما من الأحياء ليبصروا  
منه رئيساً مهيباً. وليسمعوا به ليشا خطيباً



## نداء

### من رئيس الحزب الوطنى الى أعضاء الحزب

كننا نود أن نجتمع رجال الحزب فى وقت ومكان واحد لنحدثهم عن شئوننا ونصارحهم - فى القول فى أحوالنا، ولكن ظروف الحال تحول بيننا وبينهم، لذلك نوجه الى أعضاء الحزب نداءنا ولنا فى مبادئهم السامية وما حصلوا عليه من الخلق السياسى القويم بعد كل تجارب الماضى وتبايرج الحاضر أعظم مطمئن وأكبر عاصم لهم من الخطأ والزلل . نريد بنداثة أن ينشط رجال الحزب الوطنى ويهض أعضاءه للعمل بعد أن ضمت صفوفهم وتم تشكيل لجانهم

وأول واجب امامنا هو نشر دعوتنا واذاعة مبادئنا واعتصامنا بميثاقنا الوطنى حتى ندل الناس على تلك الشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء ، ولا تنسوا انكم قد عاهدتم أنفسكم أن تحيوا للمبدأ وأن تموتوا على المبدأ، وفى سبيل المبدأ كنتم أول الضحايا، فامتلاّت بكم السجون وأقصيتم عن بلادكم وقاسيتم كثيراً . وأوذيتكم فى أنفسكم وأموالكم، وشقيتم بتحصيل قوتكم طوال أيام الحرب، ولا عون لكم من مال أو غيره يخفف آلامكم . فهل كان قائدكم وسائقكم الى كل هذا غير عقيدتكم وصدق وطنيتكم ؟ سبرتم ولم تتسامحوا حتى كان فوز المبادئ حليفكم فى كل ماضيكم، فمن ذا الذى سمع كلمة « الجلاء » قبل أن تنطقوا أنتم بها ؟ بل من ذا الذى جرؤ أن يقف بين صفوفكم فى وجه مشروعات الحماية وتيار التضليل يحرف كل

من وقف امامه قبل أن تدلوا أنتم برأيكم وتمضوا عزيمتكم وتشدوا أزر مواطنيكم بقوة إيمانكم وشدة إخلاصكم، ولم يأخذكم مع ذلك زهو فما كنتم أغراراً ولا فساداً ولا ضعافاً بل جادتم الناس بالتي هي أحسن . هذه سبيلكم في نشر مبادئكم وإن تضاولوا إذا ما سلكتموها

امامنا واجب آخر نحو الانتخابات المقبلة، فاقدر تأي بعضهم رأياً هو أن نحجم عن تلك الانتخابات وأن تقاطعها خشية الاعتراف بالحالة التي وصلنا اليها، وخشية النزول عن مبادئنا، ولكننا لم نقتنع بشيء من هذه الاعتبارات ورأينا ضرورة الخوض في هذا الميدان حتى نتمكن في نصررة مبادئنا داخل البرلمان نفسه، ونحن لا نستطيع أن نطوح بالحزب في زاوية بعيدة عن الحياة العملية

وإذا وجد في البلاد الأخرى العريقة في النظمات الدستورية من إذا سأله عن الحملات الانتخابية هزكتفيه وأظهر عدم اكتراث لهالما في نفسه من الوثوق بنظام الحكم في بلاده فلا يجوز أن يوجب عندنا مثله ونحن قادمون على أعمال هامة لا يغتفر فيها خطأ يقضى على كل مجهوداتنا. فإذا صبح ان رجال المبادئ القويمة لا يتقدمون للانتخابات، وإذا صبح ان كفاءتكم التي أظهرتموها في المواقف العديدة لا تقدمكم امام مواطنيكم، وإذا صبح ان ماضيكم المملوء حمية وإخلاصاً وان حاضركم الذي يشهد لكم بالثبات والاقدام - إذا صبح أن كل هذا لا يصلح أن يكون شفيعاً لكم، فإذا عسى أن يحمله غيركم من صحف التزكية ..؟

تقدموا بعملكم وفضلكم . تقدموا بمبادئكم وإخلاصكم . تقدموا



بثباتكم وعقيدتكم . تقدموا بوفائكم للعهد ومكارم أخلاقكم . تقدموا  
بماضيكم وحاضركم ثم استعينوا بمؤازرة اخوانكم من الاعضاء العاملين  
والمنتسبين ، ولا تطلبوا أبداً من رئاسة الحزب أن تصدر الاوامر شططا  
وتدعى حق سلب الناس أفهامهم وقوة أحكامهم .

معاذ الله أن تقع في خطأ كهذا يتخذه خصومنا معياراً لفهمنا حقيقة النظم النيابية  
بقيت لى أمنية أرجو أن تحققوها . أرجو أن تسيروا في طريقكم ولا  
تلتفتوا يمنة ولا يسرة لما يحيط بكم به أعداء السوء . أخذ خصومنا وأعداء  
بلادنا يهتموننا بأننا نعمل لخدمة ذات معينة متناسين كل ماضينا . متجاهلين  
خططنا في المحافظة على عرش بلادنا والدفاع عنه بكل ما أوتينا من قوة ، دفعاً  
للغاصبين وصدأً للساعين عن الخط بكرامته وبذر الشقاق بينه وبين الأمة ،  
وتناسوا أننا نهج نهجنا غير مدفوعين ولا متأثرين بأى تأثير وغير مسخرين  
لأية غاية ، وإننا لا نسمع غير صوت ضميرنا ولا يهبط علينا غير وحي مبادئنا  
القومية ، وإننا لا نزال جادين في طريقنا غير ملتفتين للدسائس وشباك المخاتلة  
التي ينصبونها امامنا لتشويه سمعتنا غير هيايين ما يتقوله علينا خصوم غير  
شرفاء ، وما ينقلونه عنا بالباطل طمعاً في ارغامنا على السير وراءهم في ذلك المرعى  
الخصيب لدسائسهم الخفية ، فسيروا في طريقكم وضعوا مبادئكم امامكم  
تنزلكم السبيل السوى

ان مصر العزيزة تناديكم أن تعيدوا مجداً أقام عماده آباؤكم الاولون ،  
مصر الخالدة تطالبكم أن تدفعوا عنها شر العاديات . نسأل الله عوناً ونصره  
الاهرام في ٢٣ شوال سنة ١٣٤٠ ٨ يونيه سنة ١٩٢٣ حافظ رمضان

## خطبة

٥ أكتوبر سنة ١٩٢٣ بدار اللواء

أخواني:

أنتم تعلمون جيداً أن الحركات الوطنية تسير سير النهر وهو في طريقه يقتلع الصخور، فإذا هبت عليه ريح عاصفة ارتفعت فوقه أمواج تستر هدوءه وانسيابه. ولكنها لا تكون إلا أمواجاً مؤقتة. لا تلبث أن تزول ثم يظهر النهر في انسيابه وصفائه

لقد طرأت على الحزب الوطني ظروف كثيرة. وعلم رجال الحزب الوطني أن الوطنية لها غسق وفجر. لها نور وظلمة. تعبرها شوائب كثيرة. ولكن الظلام لا يلبث أن ينقشع. والنور لا يلبث أن ينبثق. وإذا ذاك تبقى الوطنية الصحيحة الثابتة على المبادئ القوية

أنشئ الحزب الوطني منذ عشرين سنة فأنشأوا لمحاربتة حزب الأمة وحزب الإصلاح وأرادوا أن يرسلوا عليه بتلك الأحزاب زوابع تقتلعه من أصله الثابت. ولكنكم تعلمون أن كل تلك الزوابع تبددت واستمرت الوطنية الصادقة تسير سير ماء النهر الذي يجري الهوينا ولكنه يسير دائماً إلى الامام. لقد بلونا حوادث الامم الأخرى وعلمنا تاريخها وعرفنا أن كل أمة لا تعتصم بالمبدأ ولا تلوذ بالمبدأ ربما انقلبت تخدم مطامع الأشخاص في هذا الوقت الذي أتكلم فيه تقرأ أنباء حركة الاسبان وهي حركة ضيد مساوىء الحكيم في بلادهم. وكنت أعلم عنهم شيئاً كثيراً. وقد



بدأت حركتهم وطنية وكانت المدافع والمتراليوزات تسير في الطرائق لقمعها . وأخيراً ظهر الجنرال الشهير المسمى « برمودي ريفيرا » فحول زمام الحركة الى يده وحده وبذلك أصبح يسخر الحركة النزيهة لتأييد مركزه وقد التففت في الوقت نفسه الى الناحية الاخرى فوجدت على شاطئ الجزء الشرقى للبحر الابيض المتوسط حركة كهذه الحركة . فقد قام الفاشست في ايطاليا ليصلحوا حالتهم فأصبحوا قابضين على كل شئ وأصبحت كل حركة ايطاليا موجهة الى مصلحة موسوليني

عرفنا هذا ورأيناه فعلمنا أن المبادئ هي كل شئ . ويجب أن تكون قبل كل شئ . فاذا لم تعتمص الامة بالمبادئ القويمة أضاعت نهضتها وأضاعت كل شئ . لذلك قلنا من الساعة الاولى يجب أن نضع المبادئ الصحيحة بكل صراحة وجلاء ، وبغير غموض ولا ابهام ولكن يظهر أن بعضهم لم يفهم مبادئنا تمام الفهم ، أو أن قوماً ضلوه فيها من طريق غير شريفة . فأرى أن أتكم شيئاً عنها بصراحة وضعت مبادئنا على القواعد الآتية :

قلنا أولاً : استقلال مصر والسودان والملحقات استقلالاً لا تشوبه شائبة الوصاية أو الحماية أو الانتداب . ثم الجلاء عن وادى النيل بحدوده القديمة . ولم نقل هذا جزافاً ولكننا قلناه بعد تدقيق ونرو . فقد سمعتم سياسة أوربا بعد الحرب يقولون ان استقلال الامم لا يتناقى مع الحماية والانتداب والوصاية . يقوون لأمة : أنت مستقلة ، وفي الوقت نفسه يصفونها تحت الحماية أو الانتداب . فهل رأيتم استقلالاً مع انتداب أو حماية ؟ !

ان مسألة السودان لم تكن مسألة بحث لرجال الحزب الوطنى فى العهد الاخير فقط فقد درسوها منذ ٢٥ سنة . ونحن نعلم أن انكلترا حملت الحكومة على اخلاء السودان . ثم أعادتنا الى السودان مدعية أنها تشاركنا فى فتحه ثم عقدت شركة ١٨٩٩ . فعلت كل هذا لتصل الى جعل السودان شركة ثم تستقل به . وقد كنا نعلم أن انكلترا تفعل ذلك لتجعل السودان محل مساومة بيننا وبينها اذا جاء وقت البحث فى مسأنته

يقول المسيو فريسينيه فى كتابه « المسألة المصرية » : « ان مسألة السودان مسألة الحياة لمصر ، فيجب أن تكون هناك لجنة دولية على النيل كما توجد لجنة دولية لنهر الدانوب . »

لهذا حينما اجتمع الحزب الوطنى فى مؤتمر بروكسل سنة ٩١٠ فتح مسألة السودان وأبان فى هذا المؤتمر أن مسألة السودان ليست مسألة مصر وحدها ولكنها مسألة افريقيا كلها . وسيأتى على انكلترا يوم تضلل فيه الناس فى مسألة السودان . وحينما قامت نهضتنا وقفنا وقفتنا المعلومة فى هذه المسألة : ويعلم الله اننا لم نقف وقفتنا هذه الا لان مسألة السودان مسألة حياة أو موت لمصر . وقفناها لنخدم بلادنا الخدمة الصحيحة بالاخلاص الصحيح . وأنتم تعلمون أن عدد سكان مصر فى ازدياد دائم . فلا ملجأ لنا يوم يزيد عددنا عن أرض مصر الا السودان . وأنتم تعلمون أن روابط اللغة والنسب والدين تربطنا بالسودان . وكل هذه الروابط تجعل السودان جزءاً منا لا ينفصل عنا ولا ننفصل عنه

حينما قلنا اننا نطالب استقلال مصر والسودان والملحقات قالوا ما هذه



الملحقات؟ أتريدون ان تحاربوا ايطاليا؟ ثم أخذوا ينددون بنا قائلين اننا خياليون، ولكننا لم نلق الكلام جزافا. لا نطالب بالملحقات لسبب تافه. وانما نطالب بها لاسباب قوية، منها أننا كنا ندفع الضريبة عن مصر وجميع الملحقات فمن الغبن أن ندفع ضريبة عن بلادنا ونحن نأخذها. ولو كانت الاحزاب متفقة معنا على المبادئ الصحيحة وعلى الاحتفاظ بحقوق الامة وعدم التفريط في شيء منها لحصلنا على شيء كثير

احتفظنا بالملحقات لا ليكون الحصول عليها نتيجة العمل في يوم أو سنة، بل ليكون نتيجة العمل الدائم حتى يتم الفرز بها. احتفظنا بها لنبناؤها وأحفادنا وأبناء أحفادنا، لاننا اذا تركنا شيئا من حقوق الامة جاء أبناءنا من الاجيال القادمة فرمونا بالتفريط واتهمونا بالضعف، وكان ذلك سببا لنا وعيبا على تاريخنا وطعننا في اخلاصنا ووطنيتنا. نحن لا نريد الآن أن نذهب الى ايطاليا لننتزع منها ما في يدها من هذه الملحقات. وانما نحن نطالب بها الآن حتى لا ننساها وحتى لا ينساها أبناءنا. نطالب بها ليعلم أبناء مصر الآن أن لهم حقوقا يجب عليهم أن يحتفظوا بها وان يدلوأبناءهم عايتها ويوصوهم بالعمل على اعادتها الى حظيرة الوطن. نطالب بالملحقات ونضع مبدأ المطالبة بها لهذا الجيل ولكل جيل يأتي من بعده. فان مصر خالدة والاشخاص زائلون

قالوا ان الحزب الوطنى خيالى لانه لا يقبل المفاوضة الا بعد الجلاء! انكم تعلمون ان المبدأ شيء والخطة شيء آخر. وتعلمون أن المبدأ ثابت والخطة هي التي تقبل التعديل حسب الاوقات

وقد أيدنا أن نجعل المفاوضات قبل الجلاء خطة للجهاد الوطنى، لأنها لا تكون فى هذه الحالة إلا مساومة فى حقوقنا. فضلاً عما تجرّه من الخطر على الاتحاد وتوزيع الجهود والتشكيك فى وجهة النظر الوطنية الصحيحة، وقد جاءت الحوادث مؤيدة رأينا، شهادة بصدق نظرنا. وهذه هى الاتقسامات حدثت بالمفاوضة الاولى والثانية، وما زالت بلادنا تانى منها ومن آثارها ما يحزن الاصدقاء ويفرح الاعداء

قلنا احذروا المفاوضات الا اذا تمت أمور ثلاثة. أن تعلن انكلترا استقلالنا. وأن تسحب الحماية. وأن تجلو جنودها عن وادى النيل. قلنا ذلك واشترطنا كلمة «سحب» الحماية فى التعبير بدل كلمة «الغاء» لان الالغاء معناه أن الحماية كانت صحيحة ثم ألغيت أما السحب فمعناه أن الحماية وقعت باطالة فانكلترا تسحب هذا الشئ الباطل.

ان الحزب الوطنى هو الذى عرف دهاء الانكليز جيداً، وانكلترا تعرف صحة مبادئه جيداً. وقد قال ملر فى تقريره: «ان فى مصر جماعة الحزب الوطنى ويجب التغلب عليهم». فهل انكلترا هى التى تريد أن تغلب علينا؟ او أنها تستعين للتغلب علينا بقوم من المصريين؟

لقد قالت جريدة التيمس أخيراً: «ان زعماء الحزب الوطنى ذوو استقامة وصدق عزيزة ولكن نفوذهم قد انحط كثيراً»، ومعنى هذا أن الاستقامة ليس لها سوق فى مصر، فهل تقبلون ان يتغلب أحد على الاستقامة وعلى أصحاب الاستقامة؟ هل تقبلون ذلك وهل ترضونه؟

(الجميع: لا! لا!)

ان أعجب شيء أن يقولوا انهم أعلنوا استقلال مصر . نعم إنه استقلال مزيف لأنهم يبقون الاحتلال مع هذا الاستقلال وهو تناقض ظاهر . ولكننا لا نريد أن نخدع أمتنا ولا نقبل أن نغشها ، ولهذا نقول دائما : الجلاء الجلاء ! . فكل استقلال بدون الجلاء ليس إلا معنى من معاني الانتداب أو الحماية

أقول لكم ان الحركة الوطنية تسير دائما الى الامام رغم تلك الامواج التي تمنع العين أن ترى سير النهر و صفاءه ، وستظهر مبادئكم ويعلم الجميع أنها هي المبادئ الصحيحة وسيزول كل تضليل

يقولون إننا خياليون . ولست أدري من هو الخيالي ؟ ! هل الخيالي هو الرجل الذي يرى الحقائق فيقررهما ويضع لها المبادئ الصحيحة أو الخيالي هو الذي يظن أن انكساراً تنض الطرف عن مصالحها لتحقيق أمانيه ؟

إنه يجب عليكم أن تنظروا الى ماضي الرجال وعقائدهم وأعمالهم . وهذا هو الحزب الوطني يتقدم رجاله الى الانتخاب بايديهم الذي يعجز كل انسان أن يناله بسوء . ويتقدمون بمبادئهم التي لا حياة ولا حرية ولا استقلال إلا بها

ان أمانة الوطن ، أمانة الآباء والأجداد ، أمانة الأبناء والاحفاد ، أمانة الحياة والبقاء . أصبحت الآن معاقة في أعناق المندوبين الثلاثينيين وأصبحت ذمهم مشغولة بها ، فهم مسئولون عنها أمام الوطن ، مسئولون عنها أمام التاريخ ، مسئولون عنها أمام الواجب ، مسئولون عنها أمام



أنفسهم وضماؤهم ، مسئولون عنها أمام الله . وإن التفريط في هذه الأمانة لا تقع به الجناية على النفس وحدها وإنما تقع به الجناية على الأمة في حاضرها ومستقبلها

يجب على هؤلاء المذووين أن ينتخبوا المخلصين الأكفاء ، ممن لا يعرفون في الحق هواة ، ولا في الواجب أناة ، ولا يقبلون ولن يقبلوا وماقبلوا ان يضعوا أى غرض فوق الغرض الوطنى المتمثل فى إنقاذ البلاد من كل غصب واعتداء

\*  
\*\*

## خطبة

١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٣ بدار اللواء

أخوانى الاعزاء :

أرجو أن تسامحونى وتصفحوا اذا لم أطل عليكم كلمة الشكر لاننا انما اجتمعنا لتعاون على فهم الحالة الحاضرة . وانى أعتقد اعتقاداً راسخاً أن أول شئ تحبه نفوسكم هو أن تتكاتف على خدمة بلادنا فى هذه الحالة الحاضرة . وقد اجتمعنا لنعرف أية طريق نحن مسوقون اليها

ان أول واجب علينا أن نبرىء ذمنا . ونبرىء ضمائرنا أمام الله وأمام الناس وأمام التاريخ . فان كل ما فعله اليوم من خير أو شر ، ومن احسان أو اساءة ، سيظهر فى قابل أيامنا . وسيحكم الله والناس والتاريخ به علينا . سألت نفسى مراراً كيف نصل الى تبرئة ذمنا وكيف نتقى المسئولية

التي تلحقنا اذا نحن لم نحل ذمنا ونبريء ضمائرنا؟ وقد علمنا أن أمامنا طريقاً واحدة نستطيع أن نبريء بها ذمنا ونتقي المسئولية العظيمة. تلك الطريق هي أن ننادي بمبادئنا وخططنا وندعو اليها ونعمل بكل قوتناأييدها. على ذلك عولنا وبهذا أخذنا أنفسنا. والآن كما كنا دائماً قبل الآن نرفع فوق رؤوسنا علم الجهاد ونحن واقفون في الميدان على مايعهدنا العالم أجمع من ثبات قدم، وقوة إيمان، وصدق يقين  
والكنى سمعت كثيرين من أصدقاء الحزب الوطني يقولون اذا كنتم تريدون أن تفوز مبادؤكم فيجب عليكم أن تظهروا وأن ترفعوا أصواتكم. وسمعت هذا أيضاً من صديق كان يؤنّبني وكنت أنا الذي أوّنه أولاً

كنت أنا الذي ألومه وأقول له كيف قبلت مشروع ملنر وأنت ممن لهم قسط كبير من العلم والمعرفة. ولماذا لم تهرّث في القبول بعد أن علمت يومئذ ان الحزب الوطني يضع تقريراً مفصلاً يكشف به عن حقيقة المشروع؟ هذا الصديق الذي كنت أوّنه أولاً هذا التأنيب سمعت منه الآن تأنيباً لي يقول فيه: ما الذي كنت تطلبه منا؟ ألم تسمع أنه قد عقدت لترويج المشروع الاجتماعات الهائلة، وأقيمت الاحتفالات العظيمة لمدحه؟ اين كان الحزب الوطني في ذلك الوقت؟ نعم: سمعنا صوته اذ ذاك ولكنه كان صوتاً خافتاً ضئيلاً لا يكاد يسمع بين تلك الضوضاء والجلبة العظيمة التي كانت مقصودة لقبول هذا المشروع، فلماذا لم تعقدوا لرفض مشروع ملنر الاحتفالات الباهرة والاجتماعات الخاصة. ولماذا لم ترفعوا أصواتكم

بما يناسب عظمة مبادئكم ؟

قلت لمحدثي : حقاً سمعنا هذا أمس ونسمعه اليوم . فياسبحان الله !  
مالذي تطلبونه من الحزب الوطنى ؟ هل كانت خزائن الحزب مملوءة من  
أموال الامة ليقيم بهـ الاجتماعات الباهرة ويعقد الحفلات الساحرة ؟  
أنسيت أن الحزب الوطنى كان وقتئذ محروماً من صحيفة يعرب بهاعن آماله  
ويبث فيها آلامه وأحزانه ؟

وقف الحزب الوطنى وقفته ضد مشروع ملئ أمام الجماهير المضلل  
بها فلم يعرف الهوادة فى المبادئ ولا النقص فى الاخلاص ولا التسامح  
فى الحقوق . وقف الحزب وحده بادية ذى بدء امام التيار الجارف وأعلن  
قراره الذى سيبقى أبداً الدهر حجة الاخلاص الصحيح ودليل الايمان الثابت  
والوطنية الحقة . قال فى قراره :-

أولاً - اعتبار قواعد الاتفاق المعروضة خالية من المزايا المصيرية ومقررة  
لحماية ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ ، ومنظمة لهذه الحماية تنظيمياً يسلب مصر سيادتها  
الداخلية والخارجية ، ومعتمدة اتفاقية السودان اعتماداً مستوراً

ثانياً - ابداء النصيح الامة المصرية بأن لا تقبل هذه القواعد أساساً  
لاتفاق بين مصر وانكلترا

ثالثاً - لقاء التبعة أمام الشعب وأمام الاجيال المستقبلية وأمام التاريخ  
وأمام الله على كل من يعمل لتحقيق هذا المشروع

رابعاً - الاستمرار فى الجهاد الوطنى بجميع الوسائل المشروعة  
هذا هو قرار الحزب الذى نشره ونشر معه تقريراً مفصلاً وأذاعه

بين الناس تبرئة لذمته . وها نحن نريد الآن كذلك أن نخلى ضمائرنا أمام الحوادث الهامة التي نحن قادمون عليها

أقول لكم بحق انه لا يكفي أن نضع المبادئ القويمة والخطط السليمة . لا يكفي أن نضع المبادئ والخطط وتقف حولها وحدنا بل يجب أن تساعدونا على نصرتها ، ويجب أن يعود الحق الى مجراه الطبيعي ، يجب أن تكونوا للحزب الوطني كما كنتم له من قبل ، فانه هو الذي سيبقى وهو الذي سيحمل النصيب الشاق من الجهاد

لقد طوينا رداء الشباب في ميدان الوطنية الصحيحة ، فلا مندوحة لنا عن أن نطوى رداء المشيب في هذا الميدان الذي نرى فيه العذاب لذة ، والاضطهاد راحة ، خصوصا اذا كان الاضطهاد آتيا لا من الغاصبين وحدهم ، بل من بعض المواطنين القصير النظر ، الذين لا هم لهم الا استغلال الحركة الوطنية لانفسهم

على الذين يتصدرون لخدمة المصلحة العامة أن يضعوا نصب أعينهم ان مواهبهم وقواهم وكل ما يملكون ، يجب أن تكون مسخرة لخدمة المصلحة العامة . اني لم أُنس مكيدة ولا اشاعة من المسكيد والاشاعات التي أحاطوا الحزب الوطني بها قديما وحديثا . وأنا الآن أحدثكم بشئ منها لاحظت دائما انه كلما كانت البلاد مقبلة على أمر خطير أسرع خصوم الحزب الوطني فنشروا حوله اشاعات السوء . فحينما حدثت مشكلة العقبة منذ نحو سبعة عشر عاما ، ووقع الخلاف بسببها بين تركيا وانكلترا ، سبقوا وقوع الحادثة باشاعة قالوا فيها ، ان الحزب الوطني يريد أن يسلم البلاد الى



تركيا، وأنه يريد أن يستبدل سيداً بسيد آخر . وكانت انكلترا تريد من وراء هذه الحادثة أن تجعل لنفسها صفة صحيحة في المسألة المصرية . وإنما أشاعوا تلك الاشاعة ليقطعوا الطريق على الحزب الوطنى حتى اذا رفع صوته بالدفاع عن مصر في هذه المسألة قالوا له : «قف مكانك، فأنت لا تريد مصلحة مصر، وإنما تريد مصلحة تركيا» . ولما وقعت حادثة دنشواى المشثومة، أسرعوا قبل كل شىء فأحاطوا الحزب باشاعة كاذبة . قالوا انه يدعو الى التعصب الدينى الاعمى، وأنه يحرص القرويين على الاعتداء على الجنود الانكليزية . قالوا ذلك وأشاعوه قبل أن يقوموا بأية حركة فى تلك الحادثة المشثومة، قالوه واتهموه باشاعتهم عاجلاً ، حتى اذا رفع الحزب الوطنى صوته ضد الظلم الفاحش، الذى يأخذون به أهل دنشواى قالوا له : قف مكانك لا تكلم . لا يسمع منك أحد، لأنك متعصب تدعو الى التعصب

أقص عليكم رواية عجيبة . أقص عليكم هذه الرواية التى لا يزال شهودها أحياء « وهنا التفت الى الذين يكتبون كلامه وقال لهم : اكتبوا ما سنا قوله الآن جيداً » . ثم قال : نعم اكتبوه جيداً ليراه أولئك الشهود الذين لا يزالون أحياء . وهم اذا رأوه فسيعلمون ان الحزب الوطنى هو حزب الاخلاص والصدق والوفاء، حزب الرأى الراجح والنظر الصادق والسياسة الحكيمة

كنت يوماً أثناء حادثة دنشواى مدعو للتناول الغداء عند صديق، وكان معنا بعض اخواننا المستقيسين . وبينما نحن على المائدة قال قائل ممن كانوا معنا : « لقد أرسلت المشانق الى دنشواى فعلاً » وكان ذلك قبل الحكم

فقلت ان هذه المظالم تساعد الحزب الوطنى على ايقاظ الامة وتزيد النار  
التهابا، لان الظلم لا يحتمله انسان فى العالم . ولما سمع ذلك القائل كلامى  
هذا قل : « انى أعتقد فيك بعد النظر وأعجب جداً منك لانك لا تزال تنتظر  
أن تقوم لهذه الامة قائمة . هيهات أن تستيقظ هذه الامة من نومها بعد  
أن أضاعت شخصيتها فى شخصيات الفاتحين »

هكذا كان جوابه لى وكان حكمه على أمته، ولكنى قلت له : « انتظر  
فستعيش إن شاء الله بضع سنين وسنرى كيف تنهض الامة نهضة الحياة  
وسيصبح المستيئسون أمثالك فى مقدمة الحركة ، وربما حاولوا أن يستغلوها  
لمصالحهم ، وهذا هو ما أخشاه فى قابل أيامنا » . أما ذلك المتكلم فهو الآن  
بطل من أبطالنا، يغدو وروح ويرأس بعض اللجان، وربما يحارب الحزب  
الوطنى سرّاً، ولكنى أرجوه أن يخفف وطأته لانه أعلم بحقيقتنا وأن يسائل  
نفسه ويسمع صوت ضميره

لأأدرى لاي سبب يحاربون الحزب الوطنى، ولای شىء يحاولون أن  
يقصوه عن مجلس نيابى لم تكن مبادئه متلائمة مع آمال الامة ؟  
عن هذا المجلس النيابى يدفعوننا . ومن أجله يحاربوننا ؛ ولماذا يحاربوننا  
هذه الحرب ؟ ألا ننا نكره الحكم النيابى ونحن الذين حملنا الى قصر  
عابدين منذ زمن بعيد تلك العرائض الهائلة التى أجمعت الامة فيها على  
طلب الدستور من ولي الامر الشرعى . أيحاربون الذين لا يرضون مطلقاً  
عن نقائص الدستور ولا يقر لهم قرار إلا اذا ظهرت ساطة الامة الشرعية  
فى مظهرها الصحيح ؟ أيحاربون الحزب الوطنى وهم عاجزون وسيبثون

عاجزين عن أن ينالوا من سمعته شيئاً أو يمسوا شرفه بسوء ؟  
نعم لا يستطيعون أن يذلوهم من الحزب ولا من سمعته لانهم في موقف  
لولا أننا نرى ان مصلحة بلادنا لا تتفق مع كشف الستار عنه لكشفناه ،  
ولكن كل شيء يخفى ستظهره الايام .

ان مثل الحزب الوطنى مثل رجل يحارب عدواً . وعلى كتفه طفل  
صغير ، فهو مكلف أن يدفع السوء عن هذا الطفل وأن يعمل للفوز على عدوه .  
هذا مثل الحزب الوطنى الذى يحارب عدو البلاد وعلى كتفه مصلحة  
مصر وحياتها

لهمذا عملنا ونعمل . ولهذا جاهدنا ونجاهد . ولم نطلب زعامة ولم نمد  
يدنا الى الامة لتعطينا قرشا واحداً

قلت لكم انى لاحظت من زمن بعيد أن خصوم الحزب الوطنى  
يشيعون حوله اشاعات السوء كلما أقبلت البلاد على عمل خطير . وقد رأيتم  
أنهم أشاعوا هذه الاشاعات حول الحزب أيام حادث العقبة ودنشواى  
وأيام عرض مشروع ملر ليقصوه بعيداً عن رأى العام حتى يتم لهم  
ما كانوا يريدون ، وفي هذا الوقت الذى أقبلوا فيه على البرلمان يشيعون حول  
الحزب اشاعاتهم الباطلة ليقصوه بعيداً عن البرلمان . ولكن المسؤولية الآن  
أصبحت ملقاة على عاتق المندوبين الثلاثينيين . وليس علينا إلا أن ندعوهم  
أن يتجردوا من كل غاية ويحكموا بعقولهم النزيهة ووطنيتهم الخالصة فى  
المبادئ والغايات والوسائل والخطط . وبعد أن نفعل ذلك نكون قد أبرأنا  
ذمتنا أمام الله والناس

سيكون للبرلمان أعداء كثيرون . أعداء موجودون الآن بطبيعة الحال وأعداء تأتي بهم الظروف ، وله أيضاً عدو خطر غاصب واقف على قدميه يتربص بنا الدوائر

انكم تسمعون كل يوم الصحف الانجليزية تتكلم عن المسألة المصرية بلغة غريبة جدية بالعناية . تقول هذه الصحف : « ان السماسرة عجزوا عن تسليم البضاعة فماذا نعمل ؟ هل نفاوض السماسرة او نفاوض من يستطيع تسليم البضاعة !! . واني مسرور جداً أن أقف بين مندوبين ومنهم كثير من التجار الذين يفهمون هذه اللغة التجارية جيداً . أما الحزب الوطني فيقول أننا لسنا سماسرة ، ولسنا ممن يسمون البضاعة ، وانما نطلب أن ترد بضاعتنا الينا » هتاف شديد ليحي الحزب الوطني : ليحي الرئيس حافظ بك » أقرر لكم ماقلته غير مرة وهو أنكم مهما هتفتم ومهما ناديتم باسمي فلن تستطيعوا ان تدخلوا الغرور في نفسي ، لاننا عاهدنا أنفسنا أن ننكر ذواتنا وأن لا نعمل لغير مصلحة بلادنا ، وقد قضينا من العمر عشرين سنة في ساعة الجهاد الوطني وليس العمر الا مراحل تمضي ، وهل بقي فيه أكثر من مرحلة واحدة فلا غرور بالنفس ولا مطامع شخصية . وانما هو العمل للمبدأ والمبدأ وحده عاياه نحى وعليه نموت

يريدون أن يلقوا الشكوك في سمعة الحزب الوطني ولكني لم أجد رجلاً مسئولاً يقف في اجتماع أو احتفال فيجرؤ على أن يقول شيئاً من ذلك ، وانما الاذئاب هم الذين يقولونه ، وأنتم تعلمون ان الاذئاب دائماً تحمل الاوساح



يقولون إذا كان الحزب الوطني لا يطلب الاستقلال التام الذي عرفناه  
فإذا يطلب؟ فنحن نقول ما قلناه غير مرة، وهو أن السياسة اخترعت بدعة  
جديدة للاستعمار فأصبح المستعمرون يدعون أن الاستقلال لا ينافي الحماية  
أو الوصاية أو الانتداب. ولكن هل تفهمون أنه يوجد استقلال مع  
احتلال؟ أتطلبون الجلاء صراحة أم لا تطلبونه؟ «صياح من الجميع: الجلاء  
قبل كل شيء» إذن أقول لكم إن الجلاء لا يأتي من الطريق التي سلكوها  
أو التي يريدون أن يسلكوها.

قابلت في باريس أثناء انعقاد مؤتمر لوزان أحد كبار الساسة الأوربيين  
وكنا نتحدث في المسألة السياسية. فقال لي: «أنت تريدون أن تذهبوا إلى  
مؤتمر لوزان». قلت نعم. قال: «أذن لماذا فاضتكم بريطانيا أولاً وثانياً، إنكم  
فعلتم ذلك فهل تؤملون اليوم أن تكون مسألتكم دولية أمام مؤتمر لوزان،  
إن أية دولة تطلب أن يفتح أمامكم باب المؤتمر، لا بد أن يجيبها بريطانيا  
إنكم سيأثرون معها في طريق الاتفاق وتستبدل على ذلك بأنكم فاضتموها  
ولا بد أن تعتبر بريطانيا كل كلام من أية دولة في هذه المسألة بعدم فاضتكم  
معهما تحدياً لها. فما هي البائدة التي تعود على الدول من وراء هذا الموقف  
الذي وقفتم فيه وأوقفتموها فيه أيضاً؟» هكذا قل لي ذلك السياسي.  
فقلت وكنت مضطراً أن أجيبه وماذا لا نأخذ وقد ساء مؤتمر فرساي  
بأبه أماننا. ولم يكذ لي سمع مني بهذا الجواب حتى قال: «وهل كنتم  
تعتقدون إن مؤتمر فرساي كتب إليكم وثيقة الاستقلال فذهبتكم  
لستلموها وتعودوا»

أيها السادة :

ان استقلال الامم جهاد طويل . جهاد شاق . يتطلب الصبر والجلد  
ويحتاج الى شيء كثير من الثقة بالنفس والاعتماد عليها . استقلال الامم  
يتطلب جهاداً وصبراً . واذا لم نكن قد فهمنا ذلك اليوم فسنفهمه غداً ،  
وسيفهمه أبنائنا بعد غد . واذا كان لنا مطمع فهو أن نعمل بإخلاص  
وشجاعة لياثي أبنائنا وأحفادنا فيقولوا ان آباءنا كانوا بررة رحماء

انهم يهيمسون بأمور عن لوزان وتمشي الاذنان بالافتراءات الكاذبة  
علينا فيما يختص بمسائل السفر الى لوزان وأنقره . واني أكتفي بأن أقول  
لكم وعلى مسمع من الجميع أن كل ما يدعونه كذب وافتراء ، واني أعلمكم  
وعداً صحيحاً أن أنشر في الوقت المناسب كل ما جرى . وهناك ترى أعينكم  
المستندات الصحيحة

ولكننا نرى اذا نحن نشرنا ذلك فاننا انما نريد إبداء مفاخر الحزب  
في أعماله وتسفيه أعمال غيره ، ولا نريد مطلقاً أن نتعرض في الآونة الحاضرة  
الى غير المبادئ من دول أي تهجم أو أي اعتداء على سمعة غيرنا . وأن  
مصلحة البلاد لا تزال تتطلب منا حكمة وروية . ولسنا في مقام التراشق  
والتنابذ . ولكننا لا نستطيع صبراً على الاراجيف الموجهة ضد الحزب  
الوطني ، وما يدبرونه له من الدسائس وما يضعونه في طريقه من  
الاشواك والعراقيل

يفعلون ذلك ويحاربون به الحزب الوطني ليفصلوه عنكم ويفصلوكم  
عنه . وقد كانوا ينتظرون أن يجنوا من وراء هذه الاشاعة ثمار

ماغرسست أيديهم فيباعدوا نفوس المندوبين الثلاثينيين عن الحزب  
ويفصلوكم عنه

والآن بعد أن كشفنا لكم عن بعض الحقائق نترك الحكم لضمائركم  
ونلقى المسئولية على أعناقكم، ونترككم لتقضوا برأيكم في مصير الامة  
حيث لا يكون عليكم شهيد ولا رقيب الا الله

## خطبت

في اجتماع مندوبي بولاق

عقد مساء ١١ أكتوبر سنة ١٩٢٣ اجتماع كبير في دار « اللواء المصرى »  
حضره جمهور من المندوبين الثلاثينيين فألقى حضرة صاحب العزة الاستاذ  
الكبير محمد بك حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى الخطاب التالى:

اخواني الاعزاء

أريد هذه الليلة أن أقص عليكم قصص الحزب الوطنى لان له  
حوادث غريبة . حوادث تستزرف الدموع . حوادث تستثير الاشجان .  
حوادث ان كانت مؤلمة ، فقد صبرنا عليها وصابرنا آلامها ، لا زنا عاهدنا  
زعمانا أن نسير على خطتنا مادامت تجري دماؤنا فى عروقنا « هتاف بحياة  
رئيس الحزب الوطنى »

أشكركم على هتافكم ولكنني أعلم من مطالعاتي وتجارب الحياة ان  
العقائد السياسية كالعقائد الدينية . وقد تغالى الامة احيانا حتى تجعل  
لعقائدها السياسية رموزاً تشير اليها . واني اخشى اذا تغالينا فى ذلك أن

تتمسك بالرموز وننسى الالاماني. نعم أقول لكم ان تجاريب الحياة وبعض  
مطالعاني قد علمتني أشياء كثيرة. أروى لكم منها رواية بسيطة ولكنها  
تتضمن مغزى كبيراً وحكمة بالغة

كان مجنون ليلى في الازمنة الغابرة يحب ليلى ويهيم بها حتى قضى  
حياته في ذلك. فلما جىء له بها في آخر أيامه لم يلتفت اليها، فسأله صاحبه :  
« كيف أعرضت عن ليلى وهي بجانبك؟ » فقال « شغلني حبها عنها »

أخشي وأخشي - ولا أقول لكم عن غير معرفة - اننا اذا نحن  
تعلقنا بشخص رئيس الحزب الوطني ان ينتهي الامر بترك عقائدنا.  
فاذكروا العقائد دائماً حتى لا تنسوها، واذكروا المبادئ حتى لا تغفلوا عنها  
انسلخوا في عقائدكم السياسية الطريق التي رسمتها لكم الشريعة  
المحمدية التي لم تحرم صنع التماثيل الاخشية عبادتها

لا تغفلوا بل استعصموا بالمبدأ فهو حصن الوطنية الحصين

في اوائل شهر مايو حضر اخواني يطالبون مني ان اكون رئيساً  
للحزب الوطني، فاحجمت لالانني لا اريد خدمة بلادى، ولا لانني اخشي  
ان احمل هذا الامر العظيم علي كتفي، بل لانني كنت اوتر العمل كجندي  
بسيط. وما زلت في احجام حتى قال لي اخواني انني ارتكب جناية على  
الحزب والبلاد اذا انصممت على الرفض. واذ ذاك بدا لي شبح الجناية  
على البلاد فاذعنت لامرهم. والله يعلم انني يومئذ جعلت اسائل نفسي في  
كل آونة وفي كل لحظة عما عسى ان يكون مخبوءاً لنا في ضمير الدهر وفي  
قابل ايماننا. وكنت أعتقد اعتقاداً حقيقياً راسخاً ان الفكرة الوطنية



مغروسة في القلوب من زمن بعيد . وكنت أحدث نفسي هل أصل يوماً  
الى القلوب البارة . تلك القلوب المملوءة بالوطنية الصحيحة . تلك القلوب  
التي عرفتها وصبح الوطنية يتنفس في بلادنا . وكانت نفسي تجيبني ان  
الفكرة الوطنية كزهرة البنفسج المخبوءة بين لفائف الاعشاب وخمائل  
الاشجار، أشم طيبها ولا أرى مكانها . وكنت أقول هل يأتي يوم استطيع  
فيه أن أفرق تلك الخمائل وانزع تلك الاعشاب ثم أرى الزهرة الجميلة ذات  
الرائحة العطرة ؟

أقول كنت أسائل نفسي ألتقي يوماً بالقلوب البارة الطاهرة ؟ واني  
بحمد الله لم أكد احمل علم الجهاد حتى وجدت كتائب الحق متجمعة،  
وجنود الحزب واقفة متراصة ، تنتظر الفرصة لتدخل الميدان وترحف في  
مقدمة الجهاد، طالبة مجد الوطنية ونخر الانتصار

عرفت الوطنية الصحيحة يوم كانت الوطنية وطنية . عرفتها يوم  
كان أعضاء الحزب الوطني يشردون ويجلسون وليس وراءهم أمة تغضب  
لهم، وتقوم قيامتها من أجلهم ، ولا تزال كذلك حتى تعيدهم الى أوطانهم  
عرفت تلك الوطنية النزيهة الشريفة . عرفت تلك الوطنية التي لم  
يظهر الاطفال فيها أبطالا . حقاً . انه يظهر في كل حركة من حركات الامم  
وفي ميدان سياستها أناس يستغلون الحركة الوطنية لانفسهم . وان الحزب  
الوطني برىء من هذه المعاييب، وهو موجود في البلاد وصوته لا يزال  
عالياً وسيبقى عالياً . ويحزنه أن يرى الاخلاق السياسية والاجتماعية قد  
فسدت . ولكن الحزب الذي استطاع أن يحارب بريطانيا، يستطيع أن

يحارب فساد الاخلاق اذا دبت سمومه في النفوس  
أيها السادة :

نحن قادمون على أعمال هامة وحوادث خطيرة . نحن قادمون على  
تأليف مجلس نيابي وأمامنا في هذا المجلس أعمال هامة جداً . ومن هذه الاعمال  
المفاوضة . فماذا عسى أن يكون من شأن المفاوضة ياترى . هل نسير في  
طريق المفاوضة ؟ هل نسير حتى تتقطع لعالنا وتدمى أقدامنا ، كما سرنا  
أول مرة وثاني مرة ، ثم نخرج من هذا الطريق بمشروعات جديدة للحماية ؟  
لقد وضعت بريطانيا مبادئ جديدة ماعهدناها من قبل . فهي تقول  
لنا « لى مصالح خاصة فى بلادكم » . وبريطانيا لم تجرؤ قبل الآن أن تقول أن  
« لى فى مصر مصالح » خاصة . بل لم تجرؤ أن تقول ذلك منذ مائة سنة . وأمامكم  
جميع الاعمال الرسمية التى تبودلت بينها وبين الدول فى شأن مصر . وأمامكم  
جميع التصريحات التى صدرت عن سياستها المسئولين منذ احتلت مصر  
الى ما قبل المفاوضة مع ملر

انى أعرف ان انكلترا كانت دائماً تعترف أمام الدول انها لا ترمى الى  
مركز خاص فى مصر . كانت تعرف ذلك وان كانت مطامعها لا تقف  
عند حد .

تقول بريطانيا انكم فى طريقى ، وقد كنا فى طريقها دائماً ، ومع ذلك  
لم تقل ان لها مصالح خاصة قبل الآن . فما الذى طرأ علينا وما الذى  
غشى الابصار !

يطلبون المفاوضة ! أتعلمون معنى المفاوضة ؟ المفاوضة على الحال

التي يريدونها الآن هي المساومة في الحرية ، والحوادث تؤيد صدق نظرنا  
وتثبت صحة قولنا انها طريق المساومة في الحرية

تقول انكم بريطانيا انكم في طريقها . نعم نحن في طريقها كما ان فرنسا  
في طريقها على بحر المانش . بل هي أيضاً في طريقنا مادامت تدعي ان  
فلسطين لها . هي في طريقنا الى جيراننا الذين نتبادل وياهم العطف والمودة .  
في طريقنا الى الشعوب الشرقية التي تربطنا بهار وابط اللغة والدين والعادات .  
فهي في طريقنا كما اننا في طريقها . وأى بلد لم تكن في طريق البلاد الاخرى ؛  
أبهذا تستعبد الامم ؟ أبهذا تصبح انجلترا سيدة علينا وقد كنا أحراراً  
ولنا تاريخ مجيد تدل عليه آثار أجدادنا ؟

يقولون اننا متطرفون . فها المتطرف بريطانيا أو المتطرف الحزب  
الوطني ؟ هل المتطرف هو الذي يطلب حقه ولا يطالب أكثر من حقه .  
أو المتطرف هو الذي يريد أن ينهب الحق ولا يرده لاصحابه كاملاً ؟ ان  
بريطانيا تطلب الضمانات الكافية لمواصلاتها الامبراطورية في بلادنا من  
سكك حديدية . ومواصلات نهريه ، وهوائية وبحرية . أليس هذا تطرفاً  
من بريطانيا ؟

يقولون اننا متطرفون !!!

كنت أقبل أن يقول الانكليز للحزب الوطني انكم متطرفون .  
مما الذي لا أقبله ولا أرضاه والذي هو عار وفضيحة ، فهو أن يقول لنا بعض  
أواطنينا « انكم متطرفون »

نحن متطرفون لاننا نطلب السودان . صراحة ، وقد قال أحد

عنه المستشارين الانكليز في تقريره «ان السودان ألزم لمصر من الاسكندرية»  
قال ذلك يوم كانوا يطلبون عقد اتفاق مع مصر ، وكانت لهم مصلحة في أن  
تنفق مصر أموالها على السودان .

يقولون اننا متطرفون لاننا نطلب الملحقات . ويسخرون منا كلما  
ذكرنا الملحقات . ولكننا تعودنا هذه السخرية

متى كان الحزب الوطني متطرفا ؟ نحن لم نقتل ولا نقول تعالوا نحارب  
الآن ايطاليا من أجل الملحقات . ولكننا نقول دائما اننا نطلب الملحقات  
لأنها ليست حقنا وحدنا ، بل هي حق أبنائنا وأحفادنا ، فلذلك أن نتركها  
ولا يجوز أن نهمل المطالبة بها ، ليعرفوها وليطلبوها اذا جاءوا من بعدنا .  
نحن نطلب الملحقات لاننا نريد أن نكون أبناء بررة لا أبناء نزعته بريطانيا  
حقنا وحقهم باتفاقات عقدتها مع دول أخرى . نحن نطلب الملحقات  
ليتذكرها هذا الجيل وليلمها على الاجيال المقبلة . فهل الذي يذكر قومه  
بمقوقهم ويدعوهم للمطالبة بها يعد متطرفا ؟

نحن لم نعمل للوطن من سنة أو سنتين أو عشر سنوات ، وانما عملنا  
له من أكثر من ذلك ، وقد كان بعض مواطنينا يسخرون منا ويتهمون  
على وطنيتنا . فلما نهضت الامة نهضت بالاخيرة سبقونا على الابواب .  
فقلنا هنيئا لهم : ولكن عاينهم أن يحفظوا العهد ويتقوا الله في هذه الامة  
نحن قادمون على البرلمان . فماذا نصنع في البرلمان ؟ أنعود الى المفاوضة .!  
فايكن . وايكن هل نعود والبرلمان مملوء بالآلات صماء ، كالآلات التي كانت  
في بعض المجالس الماضية وكالآلات التي يجمعونها من هنا وهناك ؟ هل نعود

والبرلمان مملوء بهذه الحجة بينما تستقبلنا حوادث هامة خطيرة ؟  
إذا كان علينا واجب حقيقى فان واجبنا الاول أن نقنع بريطانيا  
اننا لا ندعن للحكم الاجنبى مطلقاً. ولا نستطيع أن نقنع بريطانيا بذلك  
مادامت فكرة الاستقلال القائم على المبادئ الصريحة مشتتة . وانما  
نقنعها اذا جعلناها ترى ان الامة كلها هى مركز الدفاع الصحيح، وان المبادئ  
القوية هى محور هذا الدفاع . واذا عرفت بريطانيا ان امانى الامة محدودة،  
ومطالبها معينة من الساعة الاولى، وان هذه المطالب والامانى لا تقبل نقضاً ولا  
تعديلاً ولا يتطرق اليها نزول عن شىء منها . واذا عرفت ان صوت البرلمان  
صادر من مجموع الامة ومن إرادتها الصحيحة . اذا عرفت بريطانيا ذلك  
فهناك تقتنع بأن لنا حقوقاً لا مجادلة فيها. وهناك تعرف كيف تكلمنا بلسان  
غير اللسان الذى تكلمنا به الآن

يجب أن تعرف بريطانيا ان الوطنية الصحيحة كامنة فى الامة بأسرها .  
ويجب أن تعرف اننا اذا أقمنا لنا زعماء فانما نعلم عليهم ارادتنا ومتى علمت  
ذلك، كلمتنا بلغة أصرح من اللغة التى تكلمنا بها الآن

هناك شىء آخر غير المفاوضة . فاذا وصلنا الى اقناع بريطانيا بأن  
تعلم علماً يقيناً أن لنا مطالب لا نفرط فيها، واننا لا نرضى أن نكون لعبة  
فى يدها، كملك الامم التى جزأت بلادها وجعلتها ممالك صورية متعددة،  
وجعلت لها ملوكاً صوريين متعددين . واذا عرفت بعد ذلك أن فى مصر  
رجالاً يعلمون دهاء ساستها، ويعرفون كيف يعدون لهم العدة، وكيف  
يكشفون الغطاء عن هذا الدهاء ويخرجون ما تحته من الاخاييل والاشراك،



وانهم أوسع من تلك الامم علماً، وأكثر معرفة بها، فلا جرم انها تعود  
فتنظر الينا بعين غير التي ترانا بها الآن

يجب أن يسمع في البرلمان صوت مصر الحقيقى . يجب أن يسمع  
في البرلمان صوت الوطنية الصحيحة . يجب أن يسجل في البرلمان صوت  
المعارضة فيما يمس حقوق الامة . اما أن يحشد الى البرلمان رجال لا شخصية  
لهم من اخلاص أو كفاءة، فذلك ما لا يكون مطابقاً لمصلحة مصر، وانما هو  
عمل تخدم به مصلحة بريطانيا

أؤكد لكم انه اذا تم الامر على هذا المثال فستكون مهزلة مضحكة .  
أقول أنظروا ماذا يصنع البرلمان اذا كان كل أعضائه من عشاق المفاوضة  
بغير حذر ولا قاعدة صحيحة ؟

هل يستأجرون باخرة عظيمة ويرفعون عليها الاعلام من كل ناحية،  
وتعزف لهم الموسيقىات، ويجمعون الاذئاب والاتباع والماجورين من كل  
صوب، ليو دعوا بعثة المفاوضين الى الميناء . وبعد ذاك تشق الباخرة بهم  
عباب البحر باسم الله مرساها ومجراها، حتى يصلوا الى لندن وهناك يقولون  
ها نحن يا سادتنا جئناكم ثالث مرة للمفاوضة ؟

لا أريد ان اطيل عليكم الكلام ولكنى اقول لكم كلمة اخيرة .  
اقول لكم حكموا ضمائركم، اذا جاء اليوم الذى تختارون فيه نوابكم . يجب  
على المندوبين الثلاثينيين ان يناجوا ضمائرهم، وأن يتجردوا من الاغراض  
والمطامع، بل يتجردوا أيضا من تلك الايمان والاقسام، التى يلزمونهم بها ان  
ينتخبوا من يجهلونهم ومن يجهلون كل شىء عن ماضيهم . وليعلموا أن

هذه الايمان والاقسام لا تنعقد انعقاداً شرعياً ، فان الحلف على الضرر  
باطل في حكم الله  
انكم اذا فعلتم ذلك كنتم قد أحسنتم لبلادكم وان أسأتم فقد  
أسأتم اليها

### خطبة

في اجتماع مندوبي الدرب الاحمر وأهاليه

في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٢٣

بدار اللواء المصرى

إخوانى الاعزاء

لا أظن ان المقام فى هذه الليلة هو مقام جدير بالشكر لكم لتلبية  
هذه الدعوة، فاني أعلم أنها دعوة للمبادئ الثابتة . دعوة الاخلاص الصحيح،  
اذ ان الكل داع والكل ملب للدعوة

تكلمت قبل الآن عن شىء من ماضى الحزب الوطنى وشىء من  
حاضر ، وأبنت بعض المواقف التى وقفها الحزب فى تاريخه العملى ، وان  
ذكريات حزبنا الخالد لتعود دائماً الى ذهنى كلما وقفت مثل هذا الموقف .  
انها لذكريات تنعش القلب ، وان كانت تبعث الحسرة الى النفس كلما اقترنت  
بظلمة التضاييل المتفشية فى هذا الاوان

أحب أن أكون الليلة واصفا بضرب الامثال الصادقة . وأحب أن  
أكون مصوراً برسم الاشياء على حقيقتها . ولكن ماذا أصف غير حالة  
مصر . وماذا أصور غير حالة الامة !

سيدة نبيلة شريفة، متسلسلة من أصول شريفة، وأعراق ما جدة، ذات ملك عريض وثروة واسعة، ولها أبناء صغار وكبار. تصوروا ان هذه السيدة، هي أمكم مصر، تصوروا انها هي صاحبة الملك والثروة، وانكم أنتم أبناءها. وان هناك اخوة آخرين، انكم منهم أخ صغير بار. وآخرون كبار غير بارين

كانت آمنة في خدرها، كانت مطمئنة في بيتها، مصونة العرض، موفورة الكرامة، محفوظة الحقوق. ولكن الدهر الغادر قضى بأن يقذفها باحدى رزاياه فساق لها رجلا ما كراً. داهية ختالا. يتحدث فلا يصدق، ويحلف فلا يبر، ويعاهد فلا يفي، وأراد هذا الرجل أن يستلب حقوقها حقاً حقاً، فاقتطع أول حق ثم أعطاه لرجل آخر غريب وجاء يقول لها: أنت لا حاجة لك بهذا الحق فاتركيه. وكان ابنها الصغير البار الى جانبها فأوصاها أن لا تقبل وألح عايتها أن ترفض. ووقف اخوته الكبار غير البارين يقولون لا مهم امام الرجل الغاصب: لا تسمى كلام هذا الطفل الصغير. فهو خيال متطزف، ويقولون له: اسكت لا تتكلم، لا تعارض، لا تدخل فيما بيننا وبين هذا الرجل، فانك قليل شأنك هين أمرك. بينما كانوا يلتفتون الى غاصبهم جميعاً قائلين: لا تسمع كلامه فهو صغير لا تعبأ به، فانه خيال غير مسموع الكلمة عندنا ولا عند أمه

بعد قليل عاد الرجل الى حق آخر هو منبع الحياة، فادعى انه شريك فيه، وبهذه الدعوى وحددا وضع يده عليه واستأثر به. ولما قامت السيدة النبيلة تطلبه أوهمها الكبار غير البارين، انها مخطئة لانها لا تحتاج الى

هذا الحق كثيراً، ولأن حاجتها منه ليست الا رشقات من الماء تجمىء اليها وهي جالسة مطمئنة. وعارض الابن البار الصغير في ذلك وحملها على المعارضة، وقال ان ضياع هذا الحق يفقدها الحياة. فكان جوابه من اخوته الكبار انه طفل صغير يرى المستحيل ممكناً ويعتقد الخيال حقيقة. وكان الرجل الغاصب كلما نظر اليه ليسمع ما يقول، صرفوه عنه وقالوا له: لا تلتفت اليه فانا نستطيع أن نسكته

ثم عاد الغاصب مرة ثالثة فأراد أن يأخذ ما بقى من حقوق السيدة المسكينة. أراد أن يأخذ الدار التي تسكنها. والخبز الذي تأكله أراد أن يملك الطرق التي تسير فيها، والهواء الذي تستنشقه... وهنا يكون موطن الهلاك لهذه السيدة - قال أبنائها الكبار للرجل الغاصب: تعال تتفاوض معك فيما تطلب من هذه الحقوق. فقال أخوهم الصغير البار: ان هذا الغاصب يريد أن يأخذ أركان حياتنا ويسلبنا كل شيء من مقومات الحياة فكيف نتفاوضه! وكيف نجعل حياتنا محل مفاوضة! فليرفع يده قبل كل شيء عن كل حق لنا، وبعد ذلك نرى ماذا يريد أن يفرضنا فيه من مصلحة أو غيرها. ولكن الاخوة الكبار أخذوا يطعنون على أخيهم ويشيعون انه متطرف وخيالى

أتعلمون أيها السادة من هي تلك السيدة؟ ومن هم أولئك الابناء؟ وما هي تلك الحقوق؟ أما السيدة فهي مصر. وأما ابنها الصغير البار فهو الحزب الوطنى. وأما أبنائها الكبار غير البارين فلا ريب أنكم تعرفونهم. وأما الحقوق فهي في جملتها وادى النيل وفيه السودان وفيه الملحقات؟

يأيت أن كتابنا القديرين وشعراءنا المجيدين يتناولون هذه القصة العجيبة، ويستوحدون بلاغتهم فيما يقربها من الالهام ويجعلها دائماً حقيقة ماثلة أمام الابصار

كان ابن مصر البار . كان الحزب الوطني ينهض مبكراً وينادي اخوانه الآخرين ، يرجوهم أن يتحدوا ولا يتفرقوا . يسألهم أن لا يعتمدوا تجاهل المبادئ التي لانجاة غيرها . يقول لهم ان الغاصب لا يمكن أن يرد إلينا حقوقنا الا اذا اتحدنا ؛ ولكن كلامه لم يسمع فكيف كانت النتيجة ! ذهب الابناء الآخرون ففاوضوا الخصم . فقال لهم : اعلموا ان السودان شركة فهو خارج عن المفاوضة . واعلموا أن لي في مصر حقوقاً ومصالح فلا بد أن آخذ ضمانات تجعلني آمن عليها . فان أعطيتهموني ما أطلبه من هذه الحقوق والمصالح ؛ أعطيتكم ثمنها قرشا براقا لامعا . وهكذا أخذوا القرش وعرضوه في ضوء الشمس أمام الناس فرأوه لامعا براقا . وقالوا : انه جميل حسن وفيه مزايا ومنافع ، فيه استقلال عظيم ، فيه حرية هائلة . أما ابن مصر البار . ابنها الصغير . ابنها الحزب الوطني ، فقد تناول القرش لينقذه ، فلم يكذب يضعه بين أصابعه حتى ظهر له انه قرش زائف فأعلن انه قرش زائف ، ثم ألقاه الى الأرض ، ونصح لقومه أن يلقوه الى الأرض . أما هذا القرش الزائف فهو مشروع مازر . وأما الذين حملوه وأرسلوه فأنتم تعرفونهم . ولما سألتهم أمهم المسكينة كيف يعرضون عليها قرشا زائفا ويسكتون عن بيان تزييفه ، قالوا لها : انها كانت استنارة فقط . . . وأنت حرة في قبوله أو رفضه . ظهر بعد ذلك ابن ثالث أراد أن يذهب الى الغاصب .

مرة ثانية، وقال انه يستطيع أن يأتي « باستقلال لا شك فيه ». وكان الغاصب قد رأى هؤلاء الأبناء يتقاتلون ويتحاربون . كل يقول: أنا الذي أذهب على رأس المفاوضين. فقال في نفسه: هؤلاء قوم يتقاتلون على مساوئتي فكيف أمكنهم من حقوقهم، وكيف لا آخذ هذا التقاتل فرصة أنتفع بها . وكذلك كان فان الذين ذهبوا الى هذه المفاوضة الثانية عادوا بقرش أشد تزيفاً من الاول . وكان هذا القرش الشديد التزيف هو مشروع كرزن. هذه هي رواية الحالة الحاضرة، رواية حقة، رواية صادقة . أين الروائيون؟ أين الكتاب الذين يجردون أقلامهم بعد أن يتجردوا من كل شيء الا حب الحقيقة، واظهار الحقيقة؟  
أيها السادة .

أقول لكم انه لم يوجد في مصر أثناء هذه السنوات الثلاث من حزن وبكى وتألم كالحزب الوطني . كنا مجتمعين أثناء اشتغالنا بوضع تقرير الحزب عن مشروع ملز . وكان التقرير قد تمت كتابته . وبينما نحن مجتمعون تواردت على نفسي هذه الخواطر :

قلت ها هو التقرير قد تمت كتابته . وسنحتاج في طبعه الى أسبوع . وفي توزيعه الى أسبوع . وفي اطلاع الرأي العام عليه وقراءته - اذا قرأه لانهم كانوا يصادرونه - الى أسبوع . وفي الاقتناع به الى أسبوع . ثم نحتاج بعد ذلك الى نتيجة هذا الاقتناع وهي رفض المشروع رأيت ان هذه أربعة أسابيع لا بد أن تمضي قبل ظهور النتيجة التي نرمي اليها وهي حمل الامة على رفض مشروع الحماية . وكان القوم يعرضون



هذا المشروع بسرعة ، وكان لابد أن يفرغوا من عملهم ويعودوا الى اللورد ملر بالنتيجة التي ينتظرها قبل مضي هذه الاسابيع . تواردت على نفسي هذه الخواطر فضايق صدرى ، وأظلمت الدنيا فى عيني ، ونهضت فوصلت الى مكتبى حيث تناوأت التليفون وقات لحضرة رئيس تحرير الاهرام ، انكم تنشرون ما يرسلونه اليكم مما يسمونه آراء العلماء وأحكام القانون الدولى فى مشروع الاتفاق فهل عندكم محل لرأى تنشرونه ؟

قال نعم . قلت اذن ارسل الى أحد محرريك ، والحق انه أرسل الى عاجلا احد محررى الاهرام ، فأخذته من يده الى غرفة فى مكتبى فقال لى : ما هذا هل تريد أن تقتلى هنا ؟ قلت لا تخف . وكيف تخاف أن أقتلك وفى الخارج أمة تقتل بأسرها ؟ ثم أملت حديثا عن المشروع كشفت به غطاءه وأظهرت به الحماية . ولما فرغت نظر الى المحرر قائلا : هل هذا رأيكم ؟ قلت نعم . قال : هل تخالفون جميع الناس ؟ قلت ماذا تنتظر من قوم لا يمكن أن يفرطوا فى أى حق من حقوق بلادهم قال : فهمت . فهمت . ثم مضى .

لم أستطع البقاء فى جو التضليل الذى كان مطبقا على القاهرة يومئذ فسافرت الى الاسكندرية . ولم أكدا أستقر بها حتى جاءنى رجل ذو مركز كبير فقال لى : ما هذا الذى تفعلونه ؟ كيف تعارضون المشروع ؟ وكيف توتابون فى أنه استقلال ؟ ألم يذكر الاعتراف بالاستقلال فى أول مادة فيه ؟ خير لكم أن توافقوا على المشروع . سمعت هذا الكلام فقلت يا الله . لقد فررت من جو فساد وضلال ، فوقعت فى جو ليس أقل منه فسادا وضلالا . وما كان شىء أشد ايلاما لنا من أن نرى جو بلادنا كلها مغطى بسحب

التضليل والتغريب

أيها السادة

تقول إحدى الصحف ويقولون على لسان إحدى الصحف ان «حافظ رمضان» يجمع عمال مطبعة اللواء ويخطب فيهم خطبة . وها أنتم موجودون الآن تملأون هذه الساحة ، وامامنا هذه الكراسى الغاصة بكم وعلى جانبي هذا المكان، وفي الغرف الواسعة المتصلة بكائنا هذا يمينا وشمالا ، في كل هذه الجهات اخواننا المخلصون الذين نراهم ويروننا ويسمعون ما نقوله، فأرجوكم أن تنظروا هل أنتم عمال مطبعة اللواء! وهل بينكم أحد من عمال مطبعة اللواء! وهل تقبلون وأنتم جمهور العلماء والمحامين والاطباء والطلبة والتجار والاعيان أن توجه اليكم هذه الفرية لالشيء الا انكم مخلصون، الا انكم ثابتون على المبادئ، الا انكم لا تؤيدون أى خطة غير مأمونة العاقبة. على انهم يريدون بذلك اهانة العمال وتحقيرهم واني افتخر بأن أكون خادما لعمال قبل سواهم

انظروا أيها السادة اذا كانوا يفترون عليكم أنتم علانية مثل هذا الافتراء قبل سواكم، فكهم يفترون علينا نحن سرا وعلانية . انى أشكرهم فقد قدموا لكم البرهان على انهم كاذبون في كل ما يفترونه علينا فلم نعد بعد ذلك في حاجة لان نقدم لكم هذا البرهان

أو كد لكم انى مسرور بهذا الافتراء، فانه امارة نجاح الحزب وهى عندى بمثابة البشرى بفوز مبادئنا. فاذا علموا أن خصوم الحزب الوطنى أيام زعيمكم العظيم المغفور له مصطفى كامل كانوا يفترون عليه نفس هذا

الاقتراء . كانوا يقولون : ان مصطفى كامل يجمع عمال مطبعة اللواء فيلقى خطبه بينهم . وقد علمتم كيف كان الحزب بعد ذلك قويا . وكيف التفت الامة حوله وأجمعت على تأييده . والآن وقد عادوا الى الاقتراء نفسه فانا نستبشر خيراً ومنتظر أن يعود الحزب الى مكانته الاولى

## خطبة

١٥ اكتوبر سنة ١٩٢٣ في أهالي المنصورة وكوم الشيخ سلامة  
والجزاوى ودرب سعادة التابعين لدائرة قسم الدرب الاحمر الانتخابية  
بدار اللواء

اخواني الاعزاء

ملأت أذنى هذه الليلة كلمات كلها عظة صادقة . ووطنية بارعة . وقد ألحتم أن أقف لاحدثكم فى شئوننا الهامة ، وبذلك حرمتونى لذة الاستمرار فى الاصغاء لما سينزل على القلوب الطاهرة من وحي الوطنية التى يرضاها الله تعالى فتفيض آياتها الباهرة على السنة الخلباء  
لقد تكلمت كثيراً وأريد أن أسمع أكثر ، فان حكمة الله البالغة اقتضت أن يكون للانسان أذنان وفم واحد لىسمع ضعف ما يتكلم  
كان بودى لو أتكم بينكم فى تبسط وافاضة ، ولكن نفسى مملوءة بالاشجان ، فقد ذهبت اليوم لآؤدى واجب التهنئة لصاحبة الدولة أم المحسنين . وبينما أنا هناك ، نظرت فاذا على مقربة منها ، تلك الدار التى يسمونها دار الحماية ، فتذكرت أياما مضت كانوا يرددون فيها على هذه

الدار غادين رائجين، ووجوههم باشة وثغورهم ضاحكة. وكانوا يشتركون في مراسيم الحماية، ولا يرون على وطنيتهم بأسا بان يعلنوا اغتباطهم بها، وولاءهم لها. ورضاهم عنها، بينما كان الحزب الوطني بريثا بعيدا ولا يملك الا أن يدعو بدعاء الرسول الكريم محمد بن عبد الله : « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون »

ذهبت بعد ذلك لاؤدى واجب التهنئة الى صاحب الدولة الامير الجليل محمد على باشا في المنيل. فتذكرت ذلك القصر المسمى « قصر الودع » وقد درست آثاره، تذكرت بهذاك القائد العظيم والمصلح القدير « محمد على الكبير » وهو يعمل لطرد الانجليز من رشيد

ان نفس مموءة أشجانا وأحزاننا. فمثل هذه الذكريات تثير الاحزان والأشجان. وبينما كانت نفسى تجيش بذكريات الماضى، كانت تمر بخاطرى أشباح الاساءة الى الوطن. وكان من هذه الاشباح تلك الابطال التي يفترونها الآن على الحزب الوطنى. فانى أقرأ ما يدفعون بعض الوريقات الى نشره واذاعته. سمعتهم يقولون أين كان رجال الحزب الوطنى طوال أيام الحرب؟ ألم يعلموا أين كان رجال الحزب الوطنى طوال أيام الحرب؟ كانوا مشردين خارج بلادهم. كانوا حشو السجون والمعتقلات. كانوا محاطين بالرقباء والجواسيس. كانوا غير آمنين على شيء من حياة أو غيرها وهم فى بلادهم. كانوا ينتظرون القضاء المحتوم فى كل لحظة بقلوب صخرية، يثبتها الايمان وينيرها سراج الوطنية الوضاء

اذكر ان احدهم جاء فى تلك الأيام يقصد تفتيش أوراقى. وكان معى

أحد الاصدقاء، وكنت ساكنا لأبدي شيئاً، مطمئناً كأن لم يحدث أمر بجانبى . فقال الصديق الذى كان معى : ما هذا ألم تبصره يفحص كل ورقة؟ أأست تخشى أن يجتد شيئاً ضاراً؟ فقلت له : لا تخف يا سيدى . انهم يجهلون رجال الحزب . ان رجال الحزب الوطنى لا يضعون وطنيتهم فى جيوبهم، ولا فى ادراج مكاتبهم، ولكنهم يحملون وطنيتهم فى قلوبهم وبين جوانحهم، وهم لا يستطيعون أن يصلوا اليها

نقول لكم أيها السائلون ان الحزب الوطنى كان موجوداً طوال أيام الحرب . لم يكن معدوما ولكن اصحابكم الذين تعرفونهم خيروا رجال الحزب بين أمرين . قالوا . اما ان تجيئوا فتشتركوا فى مراسيم الحماية وترضوها وتعلنوا السرور بها، وأما ان تذهبوا الى السجون والمعتقلات فها هى مفتحة الابواب . انظروا أيها السادة ماذا كنتم تنتظرون ان يكون اختيار رجال الحزب الوطنى ؟ لقد اختاروا السجون . رضوا بالشقاء لانفسهم وحدهم، ولم يرضوه للامة . رضوا أن يدخلوا وحدهم نار السجون دون ان يشتركوا فى ادخال لامة نار الحماية . .؟ هكذا كان الحزب الوطنى طوال أعوام الحرب . وهذه هى الجهات التى كان بهارجاله، فهل أخطأوا بذلك؟ أو أن السائلين غضبوا لاننا أئينا أن نكون معهم يوم استقبلوا الحماية صاغرين مسخرين بالتهليل لها . اذا كنتم تسمحون لانفسكم أيها السائلون ان تقولوا اين كان الحزب الوطنى ، أفلا تسمحون لنا ان نقول واين كان غير الحزب الوطنى؟ لقد ترددوا على المحطة لاستقبال عميدى الحماية حتى دميت أقدامهم . كان خيراً لهم أن لا يسألوا ذلك السؤال ولا يفكروا

فيه . فنحن والله نكره أن ننشر هذا البساط فقد طويناه لا ننا نخدم  
بلادنا لا أشخاصنا

جاءتني في تلك الايام عدة دعوات منها دعوة لاستقبال عميد الحماية  
في المحطة . فلم أجب هذه الدعوة بأكثر من القائها جانبا . وقضيت ذلك  
اليوم كله مكبا على العمل في مكتبي ، وفي نفس ذلك اليوم زارني أحد  
الاصدقاء الفرنسيين فقال لي : لقد رأيت جميع الناس في المحطة ، ولكني لم  
أجد فيها أحداً من اخوانك ، فهل أنتم في معزل عن الناس ؟ قلت نعم ، نحن  
في معزل عن الناس ماداموا يفعلون ما رأيت . لكن انتظر ريثما تشرق  
شمس الوطنية الصادقة ، فالشمس لا بد أن تطلع ساطعة مهما حجبها عن  
الابصار الجو القاتم . وقد فارقت ذلك الصديق الفرنسي قائلاً : حقاً انكم  
وطنيون . ولا بد أن تظفر بلادكم بأمنيتهما مادام فيها أمثالكم  
أيها السادة

قضيتنا ليس فيها شيء من التعقيد ولا الغموض ، فهي قضية جلية  
ظاهرة . ولكن الساسة البريطانيين يخلقون لنا كل يوم مشكلة جديدة تراى  
بها المسألة معقدة . قضيتنا قضية غاصب ومغصوب منه . فهل تريدون بهذا  
الجهاد أن ترد إلينا حقوقنا المغصوبة ؟ « اصوات . نعم . نعم . »  
اذن لاى شيء تريدون أن تفاوضوا الغاصب قبل أن يرد هذه الحقوق ؟  
هل ستكون هذه الحقوق هي موضوع المفاوضة ؟ اذن يريد الغاصب بالمفاوضة  
أن ينازعنا في حقوقنا وأن يحملنا على تركها أو ترك شيء منها ؟ لا معنى  
للمفاوضة الا هذا ، وهذا هو المساومة بعينها . فهل تريدوا أن تفاوضوه



تعطوه الحقوق أو تعطوه بعضها ؟ ان كنتم حريصين على الحق الكامل فانكم توجبون على أنفسكم أن لا تفاوضوا قبل أن تقوم بريطانيا بالجلاء علمتنا تجارب السياسة أن الغاصب لا يلين من نفسه ولا بكلام عادي مجرى معه . واذا لان فلا يكون لينه في رد الحقوق ، وانما يكون لينه ليخدع خصمه ويلقيه فيما حفره له من الهاويات . علمتنا وطنيتنا أن الغاصب اذا ابتسم كانت ابتسامته تكشير الاسد عن نابه . ولسنا كبعض البلهاء الاحداث في السياسة نظن تكشير الاسد ابتساما وزئيره ضحكا وانما نحن نعلم انه يفتح شذقيه لا ليبتسم ويضحك ، بل ليفتك ويفترس ان الذين يدعوننا لتمد يدنا الى الغاصب لم يقولوا لنا على أية قاعدة تمد اليه يداً بقيت الى هذه الساعة بريئة ، فلم تقترف إثماً ولم تلوثها جناية ان مصر جاهدت أربعين عاماً لم تقف في طريقها ساعة واحدة انتظاراً لنتيجة المفاوضات والمحادثات . مصر هذه لم تمد يدها أثناء الاربعين عاماً الى غاصبها لتراضى وإياه على ما يسمونه « حلاً مقبولاً » . فهل يليق بمصر الفتية اليافعة . مصر مهد المدنيات ومهبط النور ، ومعلمة الامم . مصر التي قامت تحطم أغلالها لتصعد الى قمة المجد المقدر لها في الازل . هل يليق بمصر هذه أن تقف في طريق الجهاد لتمد الى الغاصب يداً تضيع حقوقها وتقضى على آمالها

ان كل اتفاق لا يكون أساسه رد الحقوق الكاملة يعد جناية على البلاد كل اتفاق يقوم على أساس الغصب وتمكين الخصم من أعناق الامة لا يكون ولن يكون في مصلحة مصر . بل لا يكون وان يكون الا في

### مصلحة بريطانيا نفسها

انهم يظنون ان هذه الامة ستنام مستسلمة للاقدار بعد أن يضعوا في عنقها طوق الاتفاق، ولكنهم مخطئون . فان الامة لاتنام على الضيم ولا ترضى الذل . واذا هي سكنت يوما فلا بد أن تنهض يوما بعده ، وهناك ترمى اتفاق الاستعباد بنار غضبها ، وتقابل بصدر رحب ونفس راضية ما يقابلها يؤمئذ من المظالم والآلام

ان الاتفاق الذي يضيع شيئاً من حقوق الامة ، سيكون خطيئة لمن يقع على يده . وستدرك الامة غدا ان الذي حملها على قبول مثل هذا الاتفاق كان مفرطاً في حقوقها ، مماثلاً للغاصب عليها . ويومئذ تقضى فيه قضاءها المحتوم . ويومئذ يحكم عليه التاريخ بحكمه العادل .

نحن نعتقد ان الذين يدعون الى مثل هذا الاتفاق ، انما يدعون الى توضحية الشرف المصري ، ويدعون الى توضحية شرف بريطانيا أيضاً ، ماداموا يعتقدون ان الانكليز خصوم شرفاء . ذلك لان الانكليز وعدونا وعوداً رسمية بالجلاء عن بلادنا ، وفي الاتفاق المخاف للوعد توضحية للشرف

لم تعترف مصر بشيء للانكليز في الاربعين عاماً الماضية ، ولكن لما ظفرت بريطانيا بالمفاوضة التي دخلوها بغير حذر ولا احتياط ، استطاعت أن تقول انكم خرجتم من هذه المفاوضة ت حملون الاعتراف لي بحقوق في وادي النيل . والحمد لله فانه لم يزل في استطاعتنا أن ننكر هذا الاعتراف فنقول : ان الامة لم تقر تلك المفاوضة ولم تكن باسمها ، فليس لكم حقوق عندها .

لو كنت أعرف أقل صلة بيننا وبين الانكليز من لغة . من جنس

من دين . من مدنية . لو كنت أعرف أقل صلة تربطنا بهم لاستطعت أن أفهم معنى الاتفاق معهم على أساس توضيحية شيء من حقوقنا . أما وليست بيننا وبينهم أية صلة ، ونحن أبعد ما نكون عنهم وهم أبعد ما يكونون منا . لسنا كالأستراليين أو الكنديين أو أهل جنوب أفريقيا ، يربطنا بهم ما يربطهم بهؤلاء من أواصر النسب والقرباة . أما وليست بيننا وبينهم شيء من هذا فاني أعجب كيف تتفق معهم على أساس توضيحية الحقوق . ويشهد عجي لقوم مصريين يعملون ويكدحون للاتفاق مع الانكليز على أساس هذه التوضيحية

أيها السادة

هذه مبادئنا . هذه وطنيتنا . هذه خطتنا . هذه آراؤنا . نبديها لكم صريحة جلية . لا نظهر غير ما نبطن ، ولا نبطن غير ما نظهر . لا ندعي اننا نطلب الاستقلال ، ونحن نعمل بغير وسائل الاستقلال . ولا نزع اننا نجاهد الحرية ، ونحن نسير في غير طريق الحرية . فاشهدوا علينا بما نقول وطبقوا أعمالنا على أقوالنا . وأنتم في حل بعد ذلك من محاسبتنا على كل شيء هكذا نحن اليوم . وهكذا نحن كنا أمس . وهكذا نحن نرجو من الله ان نكون غدا . وفي سبيل انقاذ الوطن الذي صدقت آلامنا من أجله ، نريد ان نذهب الى البرلمان لترفع فيه صوت المعارضة للاعتداء على حقوق وادى النيل الكاملة

انهم يحاربون الحزب الوطنى ايقصوه عن البرلمان . وهذا هو ما يريد الحزب الوطنى أن يفعله في البرلمان . فهل هم لا يريدون أن يسمعوا بجانبهم

فى البرلمان أى صوت يطلب لمصر حقوقها الكاملة ؟  
لقد علمنا زعيمنا الأكبر مصطفى كامل كيف نتشبت بحقوق الأمة  
كاملة . وسنعمل بما علمنا فلا نخون له عهدا . ولا ننقض ميثاقا . الحزب  
الوطنى يدعو الى الحق . ومحال ان يدعوا الى الباطل ، فلا ينتظر أحد  
منه ذلك . الحزب الوطنى يقول ان الحق الثابت باق يناله أصحابه ما جاهدوا  
فيه . واعلموا انه لا بد لنا ان نصل الى الاستقلال التام بمعناه الصحيح .  
واذا لم نصل اليه اليوم فسنصل اليه غدا لا محالة . لكن اعلموا أيضا أن  
الاستقلال ليس بالشىء الهين الذى يجيء اليكم بأقل كلفة . الحزب الوطنى  
يقول لكم : يجب ان تعرفوا أن طريق الاستقلال ليست سهلة ولا مذللة .  
بل هى طريق مملوءة بالاهوال مشحونة بالمخاطر والآلام . نعم ، ويقول  
لكم الحزب الوطنى ، هذه هى طريق الاستقلال فمن كان يريد الاستقلال  
حقا فليتبعد . تضليل وتغدير ان يقولوا : نرضى اليوم بشىء ثم نصل غدا  
الى ما بقى . ان بريطانيا تريد تصحيح مركزها الباطل ليصبح مركزا  
شرعيا ، وكل اتفاق يقع بغير الجلاء يصحح لها مركزها . فهل ترضون هذا  
وهل ترضاه الأمة ؟

على اننا لا نلتفت لهذه العقارب الصغيرة ولا نعبأ بها . واذكر اننا  
فى أول الحركة الوطنية ، منذ اكثر من عشرين سنة ، كنا مجتمعين مع المرحوم  
مصطفى كامل فى مسجد قديم فقلت له : أخشى أن يكون فى هذا المكان  
شئ من الهوء والحشرات . فقال : هون عليك الامر ، فان عقارب هذا  
المكان أخف ضررا من عقارب القصور العالية والدور الواسعة

قلت ليلة أمس أننا قدمون على عمل خطير. قدمون على البرلمان. سندخل  
البرلمان ولا ندرى ماذا سيقابلنا فيه ، ولكن فلنفرض أننا وجدنا هناك  
أمام أغلبية ساحقه تقضى بالمفاوضة . فماذا يمكن أن نفعل ؟ لا جرم ستكون  
مهمتنا ان نرفع صوتنا عاليا مطالبين بحقوق البلاد كاملة ، معارضين كل عمل  
وكل خطة تضع شيئاً من هذه الحقوق وتقضى على الامة بالاستعباد ، هذه  
مهمتنا ولكنهم يحاربوننا ! فهل هم يحاربوننا حتى لا تؤدي هذه المهمة ؟  
هل يكرهون ان يرتفع في البرلمان صوت مصر . صوت المطالبة بالحق  
الكامل ؟ انهم يقولون ان الأغلبية ستكون معهم ، فماذا يضرهم ان تكون  
هناك أقلية تسجل على الغاصبين أن في الامة صوتا يطالب الحقوق الكاملة  
ويأبى التفريط في شيء منها ؟

قولوا لنا بصدق . قولوا لنا هل تريدون الاستقلال ، التام حقيقة لو ادى  
النيل ؟ وهل تريدون جلاء الغاصب حقيقة عن وادى النيل ؟ « هتاف :  
لا بد من الاستقلال والجلاء عن وادى النيل » اذن اتفقنا . فعليكم ان  
تنظروا اى الرجال يحرصون لكم على هذا الاستقلال وعلى العمل بصراحة  
وصدق للجلاء

ان الحزب الوطنى الذى وقف أمام بريطانيا الغاصبة القوية فى جميع  
المواقف الخطرة الماضية ، هو الحزب الذى سيقف أمامها فى كل ما تدبره بنفسها  
أو على أيدي من يتقربون منها لاصناعة حقوق البلاد . ولا بد للحزب أن  
يقف هذا الموقف . وقد عوده الله تعالى ان ينصره . على ان الحزب قانع  
بأن يبرىء ذمته امام الله والتاريخ . وعليكم انتم التبعة بعد ان يبين لكم الحزب

طريق الخير ويحذركم من طرق الشر  
حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبكم سواكم . واجعلوا الحكم لضمائركم  
واحكموا بنور الاخلاص وهداية الايمان

## خطبة

في الاسكندرية

ألقى الاستاذ حافظ بك رمضان بعد ظهر يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٣  
في اجتماع كبير عقد بمسرح محمد علي في الاسكندرية الخطبة السياسية الآتية :  
أيها السادة : أيها الاخوان الاعزاء

لأجد عبارة تسع الشكر لما أبديتكم وما تبدونه دائماً من الغيرة  
والاخلاص . هذه الغيرة التي أثار الله بها بصائركم ، وهذا الاخلاص الذي  
أحيا الله به قلوبنا .

لقد تفضلتم بإجابة هذه الدعوة . وهي في الواقع لم تكن دعوة رجال  
منا، بل هي دعوة المبادئ الصحيحة . وليس اخواننا الذين وجهوها إلينا  
إلا واسطة بيننا وبين مبادئ النجاة وعقائد الاخلاص

لسنا نريد في هذا الاجتماع أن نلقى عليكم شيئاً تفكهمون به . ولا  
أن نسمعكم حديثاً يملأ الأفواه ضحكاً، والصدور فرحاً والقلوب سروراً .  
ولسنا نريد أن نتاجيكم بشيء باطل ندعى أنه حق ، ولا بخطأ بين ندعى  
أنه صواب . ولكننا نريد أن نقول لكم وأنتم هذا الجيش العظيم من جنود  
الوطن، ولا تزالون في الميدان تحاربون مدواً أخذ أهبتة ليزحف عليكم



قريباً - نريد أن نقول لكم: تعالوا يا جنود الوطن شاركوا في بحث الخطط  
وتخير المواقع وبناء المعاقل وإقامة الحصون . معاقل الوطنية الصادقة تبنى  
في القلوب وحصون الاخلاص الصحيح تقام بين الجوانح  
الاسكندرية مهد الحزب الوطنى

أيها السادة :

ان ثغر الاسكندرية كشفر كو بنهاجن ، كلاهما أقيمت عليه قنابل  
الغاصبين بينما كانت تحقق فوقه داية السلام . فلا تعجبوا اذا رأيتم مدينة  
الاسكندرية ، التى كانت أول بقعة من أرض الفراعنة أحرقتها نار الغاصب ،  
تصبح اليوم شديدة الشوق الى نعيم الحرية الوطنية الصحيحة  
أنتم تعلمون ان الحزب الوطنى أول ما عرف في مدينتكم الاسكندرية ،  
ولكنه كان ككل دعوة صالحة تبدأ غريبة ثم تعود غريبة كما بدأت ، ثم  
يبعثها الله لتجديد الهداية فتعود ناشطة كأول عهد لها . كذلك الحزب  
الوطنى بدأ فيكم غريباً فلم يزل يستمد منكم تأييد الحق ثم عاد غريباً .  
وها هو الآن يبعثه الله فيكم لتجديد العهد وتأييد المبادئ الصالحة وهو  
يريد ان يكون قريباً اليكم ، منتصراً باخلاصكم ، قوياً بصدق يقينكم  
حلم بر يطانيا وواجب الوطنيين

أيها الاخوان الاعزاء :

كلنا يعلم ان بر يطانيا تعمل لتحقيق لنفسها حلماً قديماً بالذيد ، هو ان ترى  
مصر مضرومة الى الامبراطورية البريطانية لأمعة بين لآلىء التاج البريطانى  
وهى لاجل ان تصل الى تحقيق هذه الغاية قامت مع المشاورة والسكد

بسلسلة من الاعمال التي تنتهي جميعها الى مناورتين تلتقيان عند غرض واحد . فأول ما فعلت انها احتلت بلادنا فخلقت لنفسها مركزا واقعيا لیتاح لها عاجلا أو آجلا ان تضع يدها نهائيا على البلاد . وبعد ان فرغت من هذا الاحتلال ، شرعت تبذل جهودها المتوالية لتجعل مركزها شرعيا . هذا المركز الفعلي المخالف لجميع الاتفاقات الدولية المنافی للعهد الوثيقة التي قطعها بريطانيا على نفسها

هذا أيها السادة هو الحلم اللذيذ الذي شغفت به بريطانيا . وهذه هي الطريق التي سلكتها لتصل الى هذا الحلم . واذا كان ذلك هو الواقع الذي نعرفه ونراه من موقف بريطانيا حيالنا ، فماذا يجب علينا أن نفعله لندفع عن بلادنا شروره وبلاياه

نعم يجب علينا أن نقوم بما يقوم به الوطنيون الصادقون . يجب أن نعرف أن مهمتنا أصبحت مزدوجة وواجبنا أصبح مضاعفاً . فعلينا أولاً أن نجعل المركز الواقعي المكتسب بالاحتلال مزعزعا لا يرتكز على شيء . وعلينا ثانياً أن نسد كل الابواب التي تمكن بريطانيا من جعل هذا المركز شرعيا . جهاد طويل يتطلب الصبر والجلد . وأمانة عظيمة يحملها الحزب الوطني اليوم ، فلا يدعها حتى يفوز بها أو يسامها الى الابناء كاملة صحيحة ، كما حملها منذ ساعته الأولى فبث روح الوطنية في النفوس وأوقد جذوتها في القلوب

أيها السادة

قد لا يكون من تحصيل الحاصل خصوصا في هذه الايام أن نعود

بكم الى طرف من سيرة الحزب الوطنى . وما دمتم أنتم وجميع أبناء الامة أصحاب الشأن الاول فى قضية هذا الوطن ، فمن حقكم أن تسمعونا اذا أردنا أن تقدم لكم الحساب

### الحزب الوطنى وسيادة الشعب

وقف الحزب الوطنى زمنا غير قصير امام سلطة الغاصب الظاهرة أو المستترة وراء السلطة الشرعية . لقد كنا نحارب استبداد الغاصبين فى أشخاص كرومر وغورست وكتشنر . وكنا نصارع اغتصاب سلطة الامة فى جميع مظاهره . وما كان غرضنا من ذلك ولا كان الدافع القوى الذى يدفعنا اليه الا تقرير مبدأ سيادة الشعب

ان سلطة الامة لا يكون لها وجود اذا وجد مسيطر عليها . والغرض الاول ، والغرض الاساسى ، والغرض الذى نقدمه على كل شىء ، انما هو تحقيق سلطة الامة ، وتعهدنا بالرعاية والحفظ حتى تثبت . وان الحزب الوطنى الذى حارب كثيراً وناضل كثيراً من أجل سيادة الامة ، لا يمكن أن يلقى سلاحه وهو يرى هذه السيادة نهباً فى أيدي الافراد ممن يستحلون لانفسهم أن يضعوا للامة القوانين ويشرعوا لها النظم ويلوا عليها ارادتهم .

لأننا سلاحنا لان أرواح الضحايا الذين جادوا بدمائهم الذكية ، وسقطوا امامنا فوق أرض الوطن ، ورأينا جثثهم مطروحة فى شوارع المدن وطرائقها ، بعد أن رسخت فى قلوبهم تعاليم الوطنية التى غرسها زعمائنا من زمن بعيد ، تنادينا أن نكون أوفياء لمبادئنا مخلصين لعمالنا . ونأبى أن نسمح لانفسنا ولغيرنا بأن نتخذ من جثث الشهداء قنطرة نجتاز عليها

الى مطامعنا الخاصة . بل لان هذه الارواح ترانا من عالمها العلوى، وتحذرننا  
أن نقيم من جثث الشهداء تلالاً عالياً نصعد فوقه لنطل على مجد أشخاصنا،  
ونشرف على عظمة أسمائنا، ولكننا تطالبنا أن لا نطل - - على مجد غير  
مجد الوطن .

نعم أيها السادة لا نستطيع أن نكون بلاء على الحركة الوطنية الشريفة  
التيهية . نعم لا نريد أن نجعل نهضتنا فريسة لشهواتنا . ولا نريد أن نبسم  
ببسم دافعي الظلم عن البلاد، ودافعي الجور عن العباد، ولا أن نظهر بادعاء  
السعي في تطهير الأذهان من أوهام الخرافات، وهدايتها في مهام الخيالات .  
لا نريد شيئاً من هذا لاننا لا نعرف وطنية خاصة للامر الواقع القهرى ،  
ووطنية أخرى للخيال والتطرف . وانما نعرف أن الوطنية لونا واحداً  
وشكلاً واحداً . نعرف أن الوطنية الصادقة أملاً سامياً ومطمعاً عظيماً  
نضعه نصب أعيننا، ولا نحيد عنه قيد شعرة فلا نكون مزعزعي العقيدة  
سقيمي الوجدان . ولا نكون ضالين مضلين . نعرف ان هذه هي الوطنية  
الصادقة ، ونعرف اننا اذا خلونا الى أنفسنا في ظلمها شعرنا براحة الضمير  
وطمأنينة السريرة .

هل الانجليز خصوم محترمون ؟

لا نستطيع أن نركن الى الغاصب ولا أن ندعو الى الثقة به، ولا أن ننادى  
بأن غاصبينا ونسائي حقيرتنا خصوم شرفاء . وبالله ! متى كانوا شرفاء ؟  
هل بروا بوعدهم ؟ هل أوفوا بعهودهم ؟ هل صنتوا بشرف تاجهم ؟ هل  
أخلوا بلادنا من جنودهم ؟

ان شهداء العزيزية، وضحايا الشوبك، وصرعي البدرشين وقتلي، الشبانات،  
والدماء الذكية التي أريقت، بل ان الاطفال التي اختنقت بالنيران في القرى  
المحرقة . ان هؤلاء الشهداء والضحايا يناجوننا في كل وقت وكأنا نسمع  
نداءهم، وهم يسألوننا: أحقا تقولون من بعدنا ان خصومنا الانكليز  
خصوم شرفاء؟

ان الذين يدعوننا الى الركون الى الغاصب، يدعوننا الى الذلة والمسكنة،  
والذين يطلبون منا الثقة بالغاصب انما يطلبون منا أن نخضع لفعله ونطيع أمره  
ان امة تركز الى غاصبها وتجيّب الدعوة الى الثقة به، طى امة تقطعت  
فيها روابط الائتئام، وتمزقت بينها أواصر الاتحاد، وانعدمت وحدتها الجنسية،  
وتلاشت قوتها الوطنية، وهوت عروش مجدها وأبت أن تعيش حرة،  
وقبلت أن تكون ذليلة مستعبدة

#### سلاح مصر قوة العقيدة

لا أيها السادة، اننا لا نستطيع ان نضعف مركز بريطانيا الفعلي، ولا  
ان نزعزع احتلالها الواقعي، ونفسد عايتها خطتها ونحبط مسعاها الا بقوة  
العقيدة الوطنية، وتذكير الانكليز انفسهم ان يبروا بعهدهم ويفوا بوعدهم  
ويضنوا بشرفهم، اذا أرادوا أن يكونوا حقيقة شرفاء

سبيلنا أيها السادة في سياستنا الداخلية جلية واضحة . سبيلنا في  
سياستنا الداخلية مستنتجة من تاريخ الشعوب . وهي تنحصر في بث الروح  
الوطنية الصحيحة مع قوة الايمان بها، وصدق العزيمة لها، والامل الدائم في  
خير المستقبل، وما من امة تتوفر فيها هذه القوى المعنوية الهائلة وتكون

واقعة تحت نير الاستعباد، الا أخرجتها هذه القوى من جحيم عبوديتها  
الى نعيم حريتها. ومتى تمكنت في نفوسنا هذه الروح ورسخت في صدورنا  
تلك النزعات، فلا جرم أنها تسخر لنا قوى كثيرة كامنة، وتستخدم لآمالنا  
الحوادث التي لا تسير بإرادة السيطرين، ولا تجيء على هوى المتسلطين  
صفحة من التاريخ

أيها السادة

قلنا ان بريطانيا تحاول بجميع الوسائل السياسية ان تصحح مركزها  
في وادى النيل وأن تجعل له صفة شرعية

فقد حاولت بريطانيا سنة ١٨٨٣ بواسطة اللورد دوفرين ان تشتري  
الجزية التي كانت تدفعها مصر للباب العالي، وكانت تريد بذلك ان تجعل  
لنفسها شبه حق شرعي في بلادنا ولكنها لم تفلح والحمد لله

ثم فتحت مفاوضات درومندولف سنة ١٨٨٥، وحددت في هذه  
المفاوضات موعد جلائها عن مصر، غير انها أرادت أن تحفظ لنفسها الحق  
في احتلال بلادنا مرة ثانية اذا وقعت اضطرابات بعد جلائها، وكانت تريد  
بذلك أن تجعل لنفسها حقاً شرعياً أو شبه شرعياً للدخول في شؤوننا،  
ولكن هذه المفاوضات فشلت نتيجةها فلم تفلح فيما أرادت والحمد لله

بعد ذلك عقدت اتفاقات سنة ١٨٩٠ - ١٨٩١ - ١٨٩٤ لتحديد مناطق  
النفوذ في أفريقيا. ثم عقدت مع فرنسا الاتفاق الودى سنة ١٩٠٤. وكانت  
تريد بهذه الاتفاقات أن تكسب مركزها في وادى النيل الصفة الشرعية  
التي ترمى اليها، ولكنها لم تفلح بل بقي مركزها بحكم جميع الآراء التي

قررها المشرعون وأساطين السياسة محتفظا بصفته الاستثنائية المؤقتة  
غير الشرعية

ولما وقعت الحرب العامة أرادت بريطانيا أن تستفيد من اشتباك  
أوروبا في الحرب تحقيق مطامعها في مصر، ويومئذ تنبه رجال الحزب  
الوطني في أوروبا الى ذلك، فنشطوا للعمل حتى حملوا تركيا على أن تطلب  
جلاء الجنود البريطانية عن بلادنا، وذلك بأن قدم توفيق باشا الذي كان  
اذ ذاك سفيراً لتركيا في لندن بلاغاً نهائياً الى وزارة الخارجية الانكليزية  
يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩١٤، يتضمن طلب الجلاء عن مصر، وأرسل أيضاً  
المرحوم فريد بك رئيس الحزب الوطني - الى الدول عدة احتجاجات على  
الاحتلال. وفي يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٧ أرسل مذكرة الى الدول  
المحايدة يطلب فيها أن لا تعترف بالنظام الذي استحدثته إنجلترا في مصر بغير  
مسوغ شرعي، لان الاعتراف به يخالف واجب الحيادة. وكذلك أرسل هذه  
المذكرة الى الدول المحاربة وطلب منها أن تضع المسألة المصرية في مؤتمر الصلح  
القادم لتسويتها نهائياً. وفي سبتمبر سنة ١٩١٩ أرسل مذكرة الى الرئيس ولسن  
بسط فيها المطالب المصرية الحققة لاستقلال وادي النيل وجلاء الاحتلال عنها.  
ولم يكن هذا فقط عمل رئيس الحزب الوطني في أوروبا، فقد تقدم الى جميع  
المؤتمرات الاشتراكية وغير الاشتراكية التي عقدت أثناء الحرب بمذكرات  
مستفيضة عن المسألة المصرية تؤيد بالبراهين الصحيحة الشرعية حقوقنا  
ومطالبنا

وكان كلما ازداد نشاط الحزب في أوروبا، ازداد الضغط على أعضائه



وأنصاره في مصر، فكانوا يملأون بهم المعتقلات والسجون، ويحيطونهم بالمراقبة الشديدة. وما زالت هذه حالتهم معنا حتى وضعت الحرب أوزارها

وعقد مؤتمر الصالح في باريس

أيها السادة

لئن تمكنت بريطانيا أن تدس في غيبتنا مسألة مصر في معاهدتي فرساي وسيفر، فإن هذا العمل لا يمكن أن ينال الصفة الشرعية بغير قبولنا. وهما هي الحوادث جاءت وتجيء مؤيدة لصدق نظرنا هذا فإن بريطانيا عجزت عن أن تحمل محل الدول في امتيازاتها بغير رضاها. بل لقد بقيت نصوص هاتين المعاهدتين معطلة غير معمول بها، واضطرت الدول التي وقعتها أن تدخل عليها ماشاءت الحوادث من التغيير والتبديل، وما زالت كذلك حتى جاء مؤتمر لوزان، فلم يستطع أن يضع لمسألتنا حلاً نهائياً. بل كل ما فعله أن قنع الجميع بتنازل تركيا عن حقوقها، بدون أن يعرف لمن تنازلت، وبدون أن يذكر من هو المتنازل له. وبذلك بقي حل المسائل الأخرى المترتبة على هذا التنازل متروكاً إلى مفاوضات مقبلة، ولا ندرى ماذا يقصد بتلك المفاوضات المقبلة ولا ماهو نوعها. ولا نعرف هل يراد بها أن تكون بين مصر وبريطانيا وحدها؟ أو هي مفاوضات بين مصر والدول؟ أو هي مفاوضات بين مصر وبريطانيا والدول جميعاً؟

مستقبل لا يزال غامضاً ويوم آت مملوء بالحوادث الهامة والشؤون الخطيرة

أيها السادة

نحن نعلم أن حقوق الأمم لا تباع ولا تشرى. نحن نعلم أن حقوق

الامم تردلاربها وتعاد الى اصحابها . ثم نحن نعلم ان بريطانيا تراو غنا لتحويل  
نهضتنا الى جهة منفعتها، وتجذب حركتنا الى طريق مصلحتها . نحن نعلم أن  
بريطانيا تدفعنا بكل قوة وبكل حيلة لنصحيح لها باختيارنا ورضانا مركزها  
الباطل، ولنساعدها بأيدينا صك التحكيم في رقابنا

### المفاوضات

نحن نعلم اننا دخلنا المفاوضات بغير حذر ولا حيلة . دخلناها على  
غير أساس صحيح من المبادئ القويمة . نحن نعلم اننا هكذا دخلنا المفاوضات  
نخرجنا منها على ما نسمعون وتبصرون متقاتلين متنازعين، نجر ذبول الفشل  
وتظلمنا سحب الخيبة . ولكننا مازلنا نرجو أن تكون سحب صيف  
تنقشع قريباً

نحن نعلم اننا دخلنا المفاوضات نطلب كما قيل حقوقنا المغتصبة، نخرجنا  
منها وقد وضعت بريطانيا على أكتافنا ما تسميه حقوقها، وأخذت تطلب  
منا أن نعطيها ضماناً بالأمان على هذه الحقوق

لقد تكلمت كثيراً في خطب ماضية عن نظرية الصوالمح البريطانية  
الخاصة التي لم يكن لها وجود قبل اليوم . وأريد الآن أن أعيد الى ذاكرتكم  
اننا أصحاب حق مقدس ، الانجليز مغتصبوه فلا سبيل الى الاتفاق معهم  
الا أن يعترفوا بحقنا ويردوه اليينا .

### شرف بريطانيا واستقلال مصر

أعيد الى ذاكرتكم قول زعيمنا مصطفى كامل ( أما القائلون بأنه يتم  
الاتفاق بين المصريين والانجليز على أساس توضيحية الشرف البريطاني

وتضحية استقلال مصر - أى خيانة المصريين لوطنهم وخيانة الانجليز لشرفهم ووعودهم وعهودهم - فانما يوجهون الى الامتين أكبر مسبة ويطلبون اتفاقا باطلا . وأى احترام لعقد أساسه الخيانة الصريحة من الطرفين . )

### خطاب المستر بلانت

وأعيد الى ذا كرتكم خطاب المستر بلانت الذى أرسله الى الحزب الوطنى فى ١٣ سبتمبر سنة ١٩١٠ ليتلى فى مؤتمر الحزب بمدينة بروكسل قال المستر بلانت :

« سأخبركم صريحا برأى فى موقفكم السياسى الحاضر . انكم تكابدون شدة عظيمة ولكنها ليست كالشدة التى أتذكرها . ان ثبات الحزب الوطنى ثلاثين سنة على تحمل ضربات شديدة تذهب بالاخلاق والهمم من دولة كدولتنا ، لدليل على ان فى هذا الحزب العناصر التى لا بد منها للحياة ، على انه سيبقى بعد هذه المحنة ومحن أمثالها

سيأتى يوم الحرية . لا ريب عندى فى هذا . ان حط مصر رهن بجرأة أبنائها ورغبتهم الشديدة فى الاستفادة من الحرية

ثم قال : وانى انتهز هذه الفرصة لادعو الى اليقظة جماعة تركيا الفتاة ومسلمى العالم جميعا لا الوطنيين المصريين فقط . وانى أنصح الكل بنصيحة واحدة وأمنحكم هذه النصيحة وأنا آسف جدا للأسف لانى انكيزى أحب وطنى ، وانى اذا شنت وقبحت السياسة التى تسير بها مملكتى فى الشرق فانى مع ذلك انكيزى وطنى ، غير ان واجبى نحوكم يضطرنى أن أقول لكم

ذلك خارجاً عن العواطف العامة لا بناء وطني . انكم أيها الوطنيون المصريون اذا ظننتمونا غير أعداء لكم فلا تكون حماقتكم غاية . ان اجماع المحافظين والاحرار على تصويب كلام ادوارد جراي ، لبرهان على ان انجلترا لن تتبع معكم خطة شريفة ولن تنجز لكم ما وعدتكم من قبل ( ليسمع هذا الكلام كل مصري يدعي ان الاحرار يعملون لاستقلالنا ) لقد تركت انجلترا اليوم المحافظة على العهد فلا ترقبوا منا غير سياسة الظلم والعسف وسياسة الضم . سنسلبكم أموالكم ، ونفسد أخلاقكم ، وننزل بكم الى درك الهند التي ابتليت بان تكون تابعة لنا

وأوجه هذا الرجاء الى صديقي القديم الشيخ علي يوسف وسائر المصريين ، فانصحهم أن يحذرونا ( لعل يكون في هذا عبرة لمن يحملون الامة على الثقة بالانكليز والركون اليهم وحسن الظن بهم ) نحن لا نريد بكم خيراً أبداً . ولن تنالوا منا دستوراً . ولا حرية مطبوعات . ولا حرية تعليم وتربية . ولا حرية شخصية . انما نريد مادماً في مصر أن نصرف مملكتكم لمنفعة النساجين في مانشستر ، واهياء الامبراطورية الافريقية التي تتجهز لها في السودان من أموالكم وتمكين تجار الانكليز واليهود منكم أكثر مما مكنوا دون اتفاق معكم ولو في الظاهر . ثم نترككم مصفدى الايدي والارجل امام مطامعنا التجارية . وبعد فليست معذورين أبداً اذا بقيتم على حماقة حسن ظنكم بنا ( ليت شعري هل معنا الآن اذن لمن يدعون الى حسن الظن بالانكليز )

تلك أفكارنا صريحة ظاهرة فلا تستمرها في تخريب بلادكم وأحكام

أسرها بأيديكم . أما نصيحتي للحزب الوطنى فهذه هى : اثبتوا على العداء والمخالفة فى جرأة وصراحة . اتحدوا وانتهزوا كل فرصة واسعوا لانتهاء الحال الحاضرة فى مصر ، حتى نقف معكم موقف العدل ونخرج جنودنا من بلادكم ، وننهي عن التدخل فى أموركم . لن تفقدوا شيئاً اذا نهجتم هذه السبيل . نحن غرباء فى دياركم ، وأنتم محقون فى طلبكم وفى مقدرتكم ان تنالوا حقكم . ذكر والناس كل حين بكل وسائل النشر ان انجلترا ليس لها حق ان تحكمكم وانكم لا تريدونها قط ، ولا تحتاجون الى أبنائها حامين أو مستشارين أو موظفين . لا تمكنونا ان ندعى غير هذا ( نأسف لان رجالاً منا فاوضوا انكلترا فكنوهم ان تدعى ان لها حقوقاً فى مصر ) وصرحوا لنا بالخصومة علانية . ( ما رأى الذين يصرحون للانكليز بالصدقة والاتفاق على أساس بقاء الاحتلال ) ولا تشابروا على الثورات الى لا فائدة منها . وتوسلوا بالمعاملات التجارية الرسمية شأن كل الامم التى يحكمها الاجانب . ولكن ابتعدوا من الاتفاق معنا . ( هل يسمع الذين يقتربون من الاتفاق ) عندكم كثير من الاجانب ليسوا انكليزا فاحكموا الاخاء والمودة بينكم وبينهم ثم عاملونا كما تعاملونهم ( اى معاملة بعيدة عن المركز الممتاز والمصالح الخاصة ) - واتفقوا مع كل انسان ولكن لا تفكروا فى الائتلاف معنا وحدنا . ان اضاءة الزمن فى هذا السبيل عار . وأن الثقة بشرفناوانسانيتنا بعد اليوم لمن المضحكات . لن تجدوا منا الا اذ دراء باعمالكم هذه ومساعدكم . انكم تستطيعون ان تقنعونا من جهة واحدة . ذلك ان تهمونا ان احتلال بلادكم يؤدى لنا

المصاعب والمتاعب في السلم ويجر لنا اعظم المهالك في الحرب . فان امكن  
للرؤوس الانكليزية الجامدة ان تفهم ان الاحتلال لا فائدة له فهناك نعرف  
بحقكم ونترككم . قبل ذلك لا تظفرون بآمالكم»

موقف الحزب الوطنى

أيها السادة

أعدت الى ذاكرتكم كلمة زعيمنا مصطفى كامل في الاتفاق مع الانكليز .  
وأعدت الى ذاكرتكم هذا الكتاب الذى وجهه اليها رجل انكليزى  
منصف، يحذرنا فيه من الاتفاق مع قومه ماداموا يحتلون بلادنا، وفي الواقع  
ايها السادة اننا لا نستطيع ان نظفر بآمالنا الا اذا اقنعنا الغاصبين باننا  
لا ندعن لحكمهم، والا اذا جعلناهم يعتقدون ان احتلالهم بلادنا سيبقى علة  
لشقاؤهم وانه لا سبيل لنا ولهم غير الجلاء

ان الحزب الوطنى يعرف ذلك جيدا ، ويعرف ان المسئلة المصرية  
تستر وراءها مسائل عدة سياسية وحرية وتجارية واقتصادية . وكذلك  
يعرف الحزب الوطنى ان وراء المسئلة المصرية امة يقظه ساهرة تعمل  
لحريتها . ان الحزب الوطنى ليرجو فيكم ان تسيروا في طريقكم فلا تلتفتوا  
يمنة ولا يسرة، وأن تجعلوا مبادئه قرآن سياستكم . واعلموا ان الحزب  
الوطنى اذا كان الان يثب وثبة النشاط والحياة، فذلك لانه يعلم ان الامة مقبلة  
على أعمال هامة ومسائل خطيرة، وانه ليتلقى كل الضربات التى ترسل عليه  
في هذه الساعة لتقييد خطاه واضعاف نشاطه واعاقه سيره بالصبر والاحتمال

أيها السادة

ثقوا ان حزبكم لا يزال ولن يزال حافظا لجوهره النقي الظاهر فهو  
كالدر في صدقه له بريقه وجماله، بل هو منير بمبادئه كالبدر خلف السحاب  
ملتهب بحرارة وطنيته كالنار تحت التراب  
أيها السادة

قولوا : ( ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطانا ربنا ولا تحمل علينا  
أصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف  
عنا واغفر لنا وارحمنا )

## خطبة

في حفلة الحزب الوطنى الانتخابية فى الدرب الدرب الاحمر فى ٦ نوفمبر  
أيها السادة : أيها الاخوان الاعزاء

سمعت أنكم تجتمعون الليلة فى هذا المكان وأنتم من أبناء الوطن  
العزیز . ومن خيرة الوطنيين المخلصين . سمعت أنكم تجتمعون الليلة  
فى هذا المكان اجتماعا تبدأونه بأسمى الذكر الحكيم، وتختتمونه بترديد آيات  
الوطنية الصادقة . وقد دعوتمنى أن أحضر اجتماعكم هذا فجئت اليكم  
مسرعا . ومن ذا الذى لا يجيب دعوتكم مسرعا ليهتدى بهدى كتاب  
الله الكريم ويستضيء بنور الوطنية والاخلاص للوطن الخالد

جئت مسرعا لاسمع حديثكم فى قضية الوطن الذى نقديه بأرواحنا،  
ولا حدثكم بما عندى عن قضية الامة التى نخدمها الى آخر نفس من  
حياتنا . بل حضرت اليكم لاننى أعلم علما يقينا أنكم بمثل هذا الاجتماع



المبارك تساعدوننا على بحث المبادئ ومناقشة الخطط . ولانى أرغب  
رغبة صادقة فى أن أرى جمهوراً كبيراً من خياراً بناء الوطن مجتمعين يظلمهم  
الاخلاص وتشدهم ضدّهم الثقة بمستقبل البلاد . فأنتم بهذا تسايه لنا . وفى  
اجتماعكم على هذا النحو عزّاؤنا مما رأينا فى السنوات الخمس الماضية . هذه  
السنوات التى طويناها بين التألم مما يصيب بلادنا ، والتعذب بما كان ينهال  
علينا من سهام أعداء الوطن ، وبعض أبنائه الذين نرجو أن يهديهم الله  
ويغفر لهم

كنا معذنين بتلك السهام التى رأيناها مرسلة الى صدر الامة . تلك  
السهام المسمومة القاتلة، التى سدّتها يد الاستعمار الى قلب مصر وقلوب  
أبنائها . تلك السهام التى تفتى بأقلّ سهم منها أكبر أمة يصيبها هذا السهم .  
تلك السهام التى صنعوها وسقوها سما زعافاً، ثم جاءوا بها اليها يسمونها  
مشروعات الاتفاق مع الغاصب أو مخالفته، وهى لم تكن فى الواقع الا  
مصيحة لمركز الغاصب فى هذه البلاد . ولم يكن يراد بحماها اليها الا أن  
نسجل على أنفسنا قبولها ثم نردها الى الغاصب صكاً صحيحاً شرعياً يملك  
به أعناقنا ويستذل رقابنا

وقف الحزب الوطنى فى طريق هذه السهام ، لانه رآها خطراً داهياً  
تحتاج حياة البلاد ويدفن خريتها واستقلالها فى قبر لا نشور منه ولا بعث  
من تحت ترابه . وقد كنا نعلم يوم جاءوا بمشروع ملز اننا نتحدى عدة  
قوى اجتمعت لاسكاتنا . كنا نعلم أن الامة مغرر بها فاذا رفعنا صوت  
الحق الذى ندين به فقد يصرفها التغرير عن سماعه . وكنا نعلم ان الغاصبين

يريدون أن تقبل الامة مشروع الحماية، وأن يسكت المعارضون بكل وسيلة حتى لا تلتفت الامة الى ما يكشفونه عن حقيقة المشروع . كنا نعلم أن هذه القوى مجتمعة للذود عن المشروع وإخلاء السبيل امامه . ولكننا اخترنا أن نقف في الطريق نرد السهم القاتل عن أمتنا أو ندعه يصيبنا قبل أن يصيبها. فنذهب نحن فداء لمصر ، وتبقى مصر الخالدة بعدنا بريئة من داء الحماية التي أرادوها لها

قلنا وكنا أول من قال ان المشروع حماية . وان نكتم هذا القول عن أبناء أمتنا فأمامنا وإياكم احدى اثنتين فأما أن تردوا هذا السهم الى راميهِ وإما أن نتصب نحن هدف في طريق هذا السهم، حتى اذا أصابنا شره من غضب أمة مغرر بها كان جزاؤنا راحة ضمائرنا

أيها السادة : لم نكن نريد على ذلك شكرا . ولم نكن نبغى أجرا . ولم نكن نشيع لانفسنا به ذكرا . ولكننا كنا ننتظر من الامة جزاء ينتظره الابرار المجاهدون . كنا ننتظر كلمة التشجيع . وكنا ننتظر أن تنادى الامة في آذاننا ، أن أثبتوا على المبدأ القويم . والحمد لله فحسبنا غبطة وتشجيعا ان أدركت الامة صدق نصيحنا ورجاحة رأينا وصحة قولنا ان أصبحت الامة مؤمنة إيماننا ثابتا بمبادئنا وان كان هناك شواذ من الناس لم يزالوا يكابرون في الحق ويجادلون بغير علم ولا كتاب منير

أمثال هؤلاء هم الذين ترونهم يقفون أمامنا في هذه المعركة الانتخابية . واني أرى في الافق أشباحا سوداء تنظر اليها هي مغیظة مخنقة . فهل هذه هي الحملة المدبرة ؟ نحن نعرف ان اللورد ملر قال في تقريره : « ان في مصر

رجال الحزب الوطنى وهو حزب متطرف لا يمكن الاتفاق معه فلا بد من التغلب عليه . « فهل هذه المعركة التى أثاروها علينا فى الانتخابات هي تلك الحملة المدبرة التى يراد بها التغلب على الحزب الوطنى ، مادام اللورد ملنر يرى ضرورة التغلب عليه حتى يتم الاتفاق ؟ ان كانت هذ هي الحملة المدبرة للتغلب علينا حتى لانصل الى البرلمان الذى أرادوا أن يتفوقوا بواسطته على أساس السياسة الاستعمارية ، فانا مستعدون لكل شيء . نفتح صدورنا للرصاص . نموت قبل أن يتم لهم التغلب علينا . ولسنا أول أحرار من أبناء الامم ماتوا فى سبيل قضية بلادهم أحرارا . وانى أعتقد ان الآجال محدودة وان الموت حق علينا ، نخير لنا أن نموت مظلومين من أن نموت كما يموت الناس حقاً وعدلاً

كنت أتمنى أن يقولوا لنا اثبتوا على عقائدكم وامضوا فى سبيلكم بدل أن ينشروا حولنا افتراءات لانجد لها نصيباً أكثر من أن تتساقط على الارض تحت أقدامنا . كنت أتمنى ذلك فلا يظهر من السذج غير المسئولين من يقذفون من ألسنتهم تلك الافتراءات الحقيرة . ولقد عشت فى كل بيئة وخالطت الناس أخياراً وأشراراً ، فلم أروى أسمع فى كل مارأيت وسمعت ان قوما جرؤا فى أمر من الامور كجرأة هؤلاء الناس على تلك اتهم التى توجه الى الحزب الوطنى . وهم لو أنصفوا أنفسهم لكانوا أصدقاء لأنفسهم بدل أن يكونوا أعداء لها

انظروا الى مآقالوه فى شأن الاموال التى جمعت لمستشفى المرحوم فريد بك . وقفوا يتساءلون أين هذه الاموال . وقفوا بين الجمهور البريء

يذكرون الحزب الوطنى ويقرنون ذكره بالتساؤل عن تلك الاموال والحزب الوطنى معروف من قديم بأمانة اليد وطهارة الضمير . ولكنى اخبركم الخبر اليقين فى هذه المسألة . لقد وقفت الاكتتابات للمستشفى عندا . مجموع هو ٤٦٢٠٠ جنيه تقريبا . وكانت للمستشفى لجنة خاصة مؤلفة من بعض أعضاء لجنة الحزب الوطنى الادارية ، ولما لم يكن هذا القدر من المال كافيا للمشروع رأت اللجنة أن تستثمره فودعته عند شركة التعاون المالى التجارية . وبعد قليل من الزمن اشترت طائفة من سندات الدين الموحد لاستثمار المال بها . وكان هذا عملا باقتراح أمين الصندوق حضرة محمد بك أحمد الشريف وهو رجل يبلغ فى الامانة درجة التوحش . واذكر انه قابلى يوم أن اشترى هذه السندات واخبرنى خبرها فقلت له ، هل نسيت حكاية المستشار المالى الانكليزى الذى أخذ أموال الخزانة المصرية واشترى بها سندات من دين الترتسفال فهبطت تلك السندات وصنعت الاموال . فقال لى : وهل عندك شك فى انى أدفع من مالى الخاص كل ما يمكن أن ينة ص بهبوط سندات الدين الموحد على فرض انها تهبط . والآن صار المبالغ مع فوائده نحو ٦٦٠٠٠ جنيه وهو مودع فى بنك مصر ، لافى بنك الانجلو ، ولافى الكريدى ليونيه ، ولافى الناسيونال . ولكل أحد من أولئك المتسائلين أن يذهب الى البنك ليسمع الجواب المفهم . بل لكل واحد من أبناء الامة أن يذهب الى البنك ليعرف هذه الحقيقة منه ، ثم يعود فى ردى هل ينجل أولئك المفترون أولا ينجلون

أيها السادة

أست أريد أن أعير تلك المفتريات والا كاذيب أقل عناية فحسبكم  
هذا المثل الواحد لتقيسوا به الامثلة الاخرى، وانما أريد أن أحدثكم بشيء  
عن قضية الحياة وقضية الوطن .

تعلمون ان انكلا ترا تمكنت بالمفاوضات وحدها أن تضم الى أملاكها  
استراليا وكندا وجنوب افريقيا وارلندا، وان لها أساليب متنوعة فعلياً نحن  
أن ننظر من أساليبها الى ما يكون أقرب شياً بما تفعله معنا الآن لتضمنا  
الى تلك الاملاك . فانظروا مثلاً كيف استطاعت أن تضم ارلندا اليها حتى  
صارت قطعة من أملاكها في نظر الشرع والقانون ! استطاعت أن تضم  
ارلندا الى املاكها بواسطة البرلمان الايرلندي نفسه . وحكاية ذلك واردة  
في مؤلف اميل بوتمي « نفسية الشعب الانكليزي » وقد تم لها ضم ارلندا  
بواسطة هذا البرلمان سنة ١٨٠٠ . والذي نخشاه بعد أن فشلت بريطانيا  
في ضمنا من طريق المفاوضات السابقة هو أن تصل الى غايتها بواسطة برلماننا  
أقول لكم اننا قادمون على البرلمان ونية الساسية البريطانية ظاهرة،  
فيجب قبل كل شيء أن نحذر الوسائل المؤدية اليها . يجب الحذر والحيلة .  
وأتم تعلمون انه لا يوجد استقلال واحتلال في بلد واحد . وفي أي زمن  
من الازمنة سمعتم ان بلداً واحداً وسع الاحتلال والاستقلال ؟

لقد وقف يوماً البرنس بيلوف في الرخستاغ يتكلم عن المسألة الشرقية -  
التي تعد المسألة المصرية جزءاً منها - فقال : « ان هذه المسألة معقدة كذلك  
النوع من السمك المسمى ثعبان البحر فهي كلما ظهر طرف منها اختفى  
الطرف الآخر » . وليست المسألة المصرية هي المسألة الظاهرة اليوم امامنا

بل انها مسألة تستر وراءها مسائل كثيرة أخرى لا تتعلق بنا وحدنا بل تتعلق بنا وبغيرنا من الأمم . فاذا أردتم أن تتخبروا نوابا عنكم فقولوا لهم افصحوا لنا عن مبلغ علمكم بها واكشفوا عن ضمائركم . وان رجال الحزب الوطنى ليتقدمون اليكم بماضيهم وحاضرهم ، ويتقدمون بعد ذلك بأنهم طلاب الاستقلال والجلء ، فعليكم أن تسألوا كل من يرشح نفسه هل يطالب حقيقة الاستقلال والجلء « هنا سأل احد الحاضرين الرئيس تفسير الغرض من الجلء فقال سعادته »

مسألة الجلء : لم يكن بيننا وبين الانكليز الا ان الانكليز محتلون لبلادنا غاصبون لحقنا . هذا هو موضع الخصومة ولست أعرف وجهال الخصومة غير هذا . فان كان فى الناس رجل يعرف ان للخصومة بيننا وبين الانكليز سببا غير الاحتلال ، فليتفضل وليقل لى ذلك . وان كان فى الناس رجل يعرف ان للمسألة المصرية علة أمام المصريين وأمام الدول والشعوب الاخرى غير الاحتلال ، فليتفضل وليقل لى ذلك . ليقل لى أين قرأ هذا وأين تعلمه وفى اى كتاب أو تاريخ رآه ومن اى لسان أو فم سمعه ؟ لقد صرح الانكليز مرارا انهم لا ينوون البقاء فى مصر ودونوا رسمياً فى معاهدة ترايبا انهم لا يريدون الحصول على اى امتياز خاص فى مصر . وما استطاعوا قبل المفاوضات الاخيرة ان يدعوا ان لهم حقاً أو شبه حق أو امتيازاً أو شبه امتياز . فاذا لم يكن الجلء الذى هو الثمرة التى نطلبها من الخصومة فى مقدمة الجهاد الوطنى ، فعلام جاهدنا ونجاهد الانكليز ؟ ولماذا خاص مناهم ونخاصهم ان أمما قبلنا كانت مغصوبة ، وكانت محتلة ، وكانت عزلاء من السلاح ،

وكان سلاحها المطالبة والثبات ثم استقامت استقلالاً حققه جلاء الاحتلال  
العسكري عن بلادها . فعلى الذين يسألوننا عن وسيلة الجلاء ان يعودوا  
الى هذه الامم فيسألوها كيف صنعت حتى جلت جنود الغاصب عن  
بلادها

نحن نقول ان المثابرة والصبر وقوة العقيدة والمطالبة الدائمة هي الوسيلة  
الى الجلاء لانها كانت وسيلة غيرنا الى الجلاء . واذا كان معارضونا ينكرون  
ذلك، فانا نسألهم هل يعدون النتيجة التي يريدون ان يقفوا عندها فوزاً  
أو خذلاً لنا ؟ ان كانوا يعدونها خذلاً لنا، فخير لهم ان يتعدوا عن طريقها التي  
يسيرون فيها راضين مختارين . وان كانوا يعدونها فوزاً، فاي قولوا لنا هل كانت  
لهذا الفوز وسيلة غير الثبات والمثابرة والمطالبة الدائمة ؟

كنا في سنة ١٩١٦ نحن رجال الحزب الوطنى على اشد ما نكون  
انكاراً لذواتنا . رأينا نهضة الامة وهي ثمرة المبادئ التي غرسها زعمائنا  
فقلنا لقد حان الوقت الذي انتظرناه طويلاً وتمنيناها كثيراً . ثم أعلننا منار  
المبادئ من اللحظة الاولى، ووضعنا الخطة القوية في الساعة الاولى . ولما  
فعل مؤتمر فرساي ما فعل لم تهزم نفوسنا ولم ترتجف اعصابنا، وان كان قد  
ضرب قصيرى النظر ضربة مؤلمة . وحينما رأيت معاهدة فرساي لم يهمنى  
ما فيها من الاعتراف بالحماية، لان تلك المعاهدة قضت على دولة المانيا ان  
تعترف بالحماية الانكليزية . ومعنى هذا ان الطرف المغلوب وحده هو الذى  
يعترف بالحماية اما الطرف الاخر فلم يؤخذ منه هذا الشرط في المعاهدة .  
ثم جاءت معاهدة سيفر فاخذت انكثرا فيها من حكومة الاستئثار لا من

ركيا .. اعترفا بالحماية . وما كان لهذا الاعتراف ولا لغيره قيمة لان المتفق عليه ان حقوق الامم ليست سلعاً تباع وتشترى . ولأنه لا بد لصحة الحماية من قبول الامة المحمية . على انى لم اكن اشك في ان معاهدتى فرساي وسيفر قصير تاالاجل لانهما قضتا بظلم يشمل العالم تقريبا، ولا يمكن ان يقيم العالم على الظلم، وقد جاءت الايام فحققت هذا النظر كما رأيتم

ان الحماية أو اى نوع آخر من انواع التملك وبسط النفوذ بصفة شرعية لا يمكن ان يتم الا اذا رضيته الامة . ولم تستطع بريطانيا حتى الآن ان تحصل على رضا الامة المصرية بالحماية أو بما تريده مما هو فى معنى الحماية . ومن أجل هذا أرادت أن تحل محل الدول فى الامتيازات لتنال بذلك شبه اعتراف منا ومن الدول بأن لها صفة ممتازة فى مصر ، فهل لو كانت الحماية صحيحة أكانت بريطانيا تسعى لتحل محل الدول فى الامتيازات حتى تدرك هذه الغاية ؟

اننا لم نزل بخير من جهة مركزنا وقضيتنا . ولكن الخطأ الذى فتح علينا باب « المصالح الخاصة والمركز الممتاز » انما هو خطأ الدخول فى المفاوضات بغير حذر ولا حيطة . واؤكد لكم اننا لو بقينا كما كنا سنة ١٩١٩ على اجماع صحيح وعقيدة ثابتة وكلمة متفقة فى المطالبة بالجللاء، اذن لا دركت بريطانيا ان الاحتلال علة شقاء لها وانه سيبقى علة نجاب عليها الشقاء الدائم ، واذن لقربنا جداً من الجللاء اذا لم نكن قد ظفرنا به فعلاً . هل يخبرنى الذين يستعظمون أمر الجللاء ماذا تخشى انكثرا من . جلالتها عن مصر ؟ أى شىء نخشاه ولها أسطولها الضخم يمحى عابان



البحار؟ أليست انكلترا هي التي قبلت الجلاء في مفاوضات درمندواف بين سنة ٩٨٥ وسنة ٩٨٧ وحددت مواعده؟ انها لا تخشى من وراء الجلاء شيئاً لانها قبلته في تلك المفاوضات. وانما هي تريد أن تتذرع بالاحتلال الى تصحيح مركزها في مصر بطريق المفاوضات أو نحوها. وقد كانت ترمي الى هذه الغاية حينما قررت الجلاء في تلك المفاوضات التي ذكرناها. فقد طلبت أن تكون هي أحق الدول بالعودة الى مصر اذا حدثت فيها قلاقل بعد جلائها. ويومئذ تنبه وزير خارجية روسيا ووزير خارجية فرنسا الى ما تضمنه انكلترا فحملا الباب العالي على أن يرفض ما طلبت. وانها تزعم أن مصر في طريقها فهي لذلك تريد أن يكون مركزها فيها صحيحاً. ولكنها تزعم زعماً باطلاً فقد كنا ونحن في لوزان نضع أمام الدول النظرية الصريحة، وهي ان مصر في طريق الدول الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، بل كنا نقول ان انكلترا ليست دولة من دول البحر الأبيض المتوسط. لانها بعيدة عنه فكيف تريد أن تتفرد هي بما تسميه الامان على طريقها فيه. كنا دائماً نبسط هذه النظرية أمام الدول لنقنعها بأن مصالحها متوقفة على استقلالنا وعلى احباط ما تدعيه انكلترا من الحقوق في مصر.

أيها السادة

أحذركم أن تخذعكم الالفاظ. أحذركم أن تستهويكم الكلمات العذبة. لا تصدقوهم اذا جاءوا اليكم باتفاق وقالوا انه استقلال: فقد اصطلح ساسة الاستعمار في هذه الايام الاخيرة على الجمع بين الاستقلال والحماية أو الوصاية أو الانتداب وجعلوا يخدعون الشعوب المنكوبة بهم اذ يقولون

لها : أن الاستقلال لا ينافي هذه الاشياء كما ان هذه الاشياء لا تنافي الاستقلال .  
ان انكثرا تعرف ان مركزها في مصر باطل ، وتعلم انه مركز غير شرعى  
فهى لذلك تثق ثقة تامة بأن مركزها في مصر مزعزع ، وسيبقى مزعزعا  
وباطلا ما دام غير شرعى . فيجب علينا أن نضع الخصومة في موضعها .  
يجب أن لا ننسى ان الاحتلال هو موضع الخصومة ، وأن لا اتفاق الا اذا زالت  
هذه الخصومة وهى لا تزول ولن تزول الا بالجلاء

يجب أن نطلب الجلاء وعودتنا في طلبه وعود انكثرا وحكم القانون  
الدولى وحق الامة المصرية نفسها . ومن أجل ان الحزب الوطنى يحرص على  
هذه العدة التى لا سلاح لنا الآن غيرها طالبنا من أول الامر بالجلاء  
ووقفنا الآن نقول الجلاء الجلاء . ومن أجل اننا نرى الختل في سياسة انكثرا  
ولا نجد أى شىء من حسن النية فيما تفعله انكثرا وما تقوله ، جعلنا نحذر من  
المفاوضة ووقفنا الى الآن نقول ، احذروا المفاوضة لا تقموا في شباك المفاوضة  
أقول لكم انه اذا تم اتفاق بيننا وبين انكثرا من دون أن يتحقق الجلاء  
العسكرى فلن تجدوا بعد ذلك مبدأ وطنيا ولا رجلا يذكر كلمة الوطنية .  
فيومئذ يعد كل مصرى يطالب أى شىء مخالف للاتفاق خارجا على بلاده ، خارجا  
على الاتفاق الذى قبلته الامة . بل يعد ثائرا على أمته تتناوله يد العقاب بما يؤدبه  
وبما يكون عبرة لسواه

أيها الاخوان الاعزاء :

أقول لكم بكل صراحة انى لو كنت أعلم ان بيننا وبين بريطانيا أية  
رابطة من الجنس أو الدين أو اللغة أو العادات أو التاريخ أو المدنية لا استطعت أن

أفهم محلاً للاتفاق بيننا وبين الانكليز . أما وليس بيننا وبين بريطانيا أية صلة فكيف يجوز للامة المصرية أن تتفق معها اتفاقاً لا يكون مع الاختلال الا مضیعة لحقوقها ؟ وكيف يمكن أن أقبل لامتناهية الاستقلال وهى ذات التاريخ المجيد والمدنية العالية، بينما أرى أرمينيا الصغيرة ونصف سكانها مشتمتون فى أرجاء العالم تتمتع باستقلالها، وبينما أجد البانيا التى عاشت تائهة فى جبالها الوحشية وليس لها أثر من التاريخ يؤيد مصالحها تنعم باستقلالها . نحن لانستطيع أن نمد يدنا الى الغاصب قبل الجلاء عن بلادنا عسكرياً ومدنياً

أيها السادة : وقفت فى مسألة الانتخابات بين عاملين أحدهما يمنعنى والاخر يدفعنى . يمنعنى عامل الكرامة والاباء، فقد كنت أعتقد أن قوما سيسبقوننا الى الانتخابات، وكان الاباء والكرامة يطلبان منى أن أتركهم وما يشاءون، ويدفعنى عامل الواجب فى خدمة البلاد والامة ، ولكن الواجب تغاب أخيراً ، فقد تعلمنا نحن رجال الحزب الوطنى أن نضع الواجب فوق أشخاصنا . وانى من الآن أشعر براحة الضمير سواء انتخبنا أم لم ننتخب . فقد تقدمنا لنؤدى واجبنا فبرئت ذمتنا وسقطت عنا كل مسئولية

أيها السادة :

اعلموا أن ظواهر الحال كلها تدل على ان الحزب الوطنى سىصبح موضع الاضطهاد ولكن لا تنسوا ان هذا الحزب كان ولم يزل كالسبيكة الذهبية لا يسطع شعاعها ولا يضىء بريقها الا اذا صقلتها المطارق ونالت منها ضربات الحديد

## خطبة

١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٣ في الدرب الأحمر

أيها السادة أيها الاخوان :

أجبت دعوتكم شاكرًا مسرورًا . وقد جئت اليكم وأنا أسائل نفسي  
لماذا أتكم في كل ناحية وأخطب في كل مكان . ولماذا انزل طائعا على ارادة  
ال جماهير المخلصين الذين يطالبون مني أن أتكم كلما وجدت معهم في اجتماع  
وطني جليل كهذا الاجتماع

كنت أسائل نفسي أثناء قدومي اليكم لماذا أخطب هنا وهناك  
إذا كانت ذمتي قد برئت من المسؤولية منذ الساعة التي أعلنت فيها ترشيحي  
وقدمت ترشيحي . وأقسم لكم بشرف الوطنية الزهية اني ما أردت ولا  
أريد في كل ما حدثتكم به وما أحدثتكم به أن أقوم بحملة انتخابية . وانما  
أردت دائما وأريد دائما بيان المبادئ القويمة وترسيخها في القلوب وشرح  
الخطط المستقيمة وتوجيه العزائم اليها

نعم أيها السادة، نحن لا نطمع من وراء هذا الترشيح في شيء أكثر من  
خدمة بلادنا بنزاهة وصدق وإخلاص، فإن نحن وصلنا بهـذا السعي الى  
المكان الذي تؤدي فيه هذه الخدمة بعد الانتخاب، كان لكم علينا واجب  
الوفاء بما تعلقتم به ذمتنا، وإن لم نصل عدنا الى مكاننا من الجهاد الذي  
سلكنا طريقه الى الآن وقلوبنا لا تشعر بشيء من التقصير، وضماننا لا تتألم  
لشيء من التفريط . أما المسؤولية فإذا أردتم أن تعرفوها أيها السادة، فاني

أقول لكم انها أصبحت الآن في أعناق المندوبين الثلاثينين . وان نفسي  
لتحدثني حديثاً أشعر بصدقه ، أشعر ان المندوب الثلاثينين اذا تقدم يوم  
الا انتخاب الى الصندوق ليعطى صوته ، فسوف يتجرد من كل تأثير الا  
تأثير ضميره ، وسوف لا يسمع صوتا الا صوت الوطن ، وسوف لا يرى  
عليه رقيباً الا الله  
أيها السادة:

انى أترك هذا الانتخاب الى أمانة المندوبين الثلاثينين ووطنيتهم .  
والآن نريد أن نتحدث الحديث الاهم . فهيا نخض في حديث الحياة  
والمجد . هيا نتناج نحن أبناء مصر المخلصين فى قضية مصر أم المدينيات  
ومعاملة الشعوب . هيا نتجاذب الحديث فى قضيتنا على بساط من الصفاء  
والحبة فى غير جلبه ولا ضوضاء

اعلموا أيها السادة ان مركزنا أصبح مركزاً دقيقاً جداً فلا ينبغي اننا  
ولا يليق بوطنيتنا واخلاصنا أن نشغل بالامور التافهة عن النظر الصحيح  
العميق فى هذا المركز وفيما يحفظه لنا سليماناً مونا .

وقف كبير الوزارة البريطانية يخطب أخيراً وكانت احدى الصحف  
الانكليزية الهزلية قد صورتها يطير ولا يعرف أين ينزل من طيارته . تشير  
بذلك الى حيرته فى الشؤون السياسية . فقال فى خطبته رداً على هذه الصحيفة:  
« نعم . اننى أطيرو ولكنى أبحث عن مكان أمين أنزل فيه » . وان أخوف  
ما أخافه أن تكون مصر هى ذلك المكان الذى يبحث عنه هذا الطائر . انى  
أرجو وأرجو من كل قلبى أن لا تكون مصر هى ذلك المكان الامين .

بل محال وفي عروقنا قطرة من دم الوطنية الصادقة والمصرية العريقة أن  
تصبح مصر أرض الفراعنة مكاناً مأموماً ينزل فيه هذا الطائر البريطاني.  
مصر التي سقت اليونان كأس الحكمة وأوردت الأمم جميعاً حوض العلوم  
العذب. « تصفيق وهتاف »

انى أعلم ان مركز بريطانيا في مصر مزعزع وسيبقى مزعزعاً مادامت  
لا تفي بوعودها فتجلى عن بلادنا . وانى لأرجو أن تتدبروا بدقة وصدق  
طريق الخلاص . اننا ننظر الآن فترى في أفق الحالة السياسية اشباحاً  
خفيفة مختلفة، ونقرأ صفة هذه الاشباح في كل ورقة تخرج من وزارة  
الخارجية البريطانية . نرى هذه الاشباح ونقرأ صفتها فنفهم انها اشباح  
تريد بريطانيا أن تقتل بها الرياح الوطنية في كل بلد من بلاد الشرق . وليس  
أفعل في القتل من سلاح تستعمله بريطانيا دائماً هو سلاح الشقاق والتفرقة.  
هو سلاح الاشاعات والباطيل التي تنفث سموماً بين أبناء البلد الواحد  
فتقضى على وحدتهم وتستل من بين جنوبهم روح حياتهم

لأذهب بكم بعيداً في بيان هذه الخطة التي تتبعها بريطانيا في سياستها  
يل حسبكم أن أسمعكم بضع جمل من تقرير اللورد ملر الذي كتبه عن  
المشروع المعروف باسمه وعن المفاوضات التي خرج منها هذا المشروع .  
وأنتم تعلمون ان هذا التقرير هو الذي نشر وراه الناس جميعاً وقد سمعتم  
انه وضع تقريراً آخر سرياً عن تلك المفاوضات قدمه الى حكومة . مع  
التقرير العلني ولا بد أن يكون ما ذكره فيه أدهى وأمر . ( وهنا تناول  
الرئيس حافظ بك نسخة من تقرير ملر وقراً منها العبارات الآتية ) :

« تبين لنا أن علم الحركة الوطنية الصافي يحقق على أقوام متعددة الآراء مختلفة طبعا » - أي أنه رأى علم الوحدة الوطنية الخافق وأنه لذلك يريد أن يمزق هذا العلم -

وقال في موضع آخر بعنوان « السياسة المقبلة » :

« هذا في اعتقادنا بيان الرأي عند انصار الوطنية المصرية ولكن سلوك الفئة المتطرفة الصاخبة سبيل العنف وخروجها عن دائرة الاعتدال والانصاف جعلها الحركة كلها تظهر كأنها ليست مما يقبل الصلح أو الاتفاق ، مع أن الأمر ليس كذلك في رأينا ولا هو دائم بالضرورة ، فإن الهيئة المستحقة الاعتبار المعروفة بالوفد التي تتسلط على عقول المصريين تمام التسلط ولو في هذا الحين على الأقل ، والتي تقول أيضا أنها تنطق بلسان الأمة ومعها وثائق كثيرة مؤلفة من أعضاء أكثرهم ليسوا من الغلاة المتطرفين ، بل أصلهم من حزب الأمة القديم الذي كان غرضه التقدم الدستوري تدريجيا بخلاف الحزب الوطني الذي هو حزب الثورة ومعارضة البريطانيين »

وقال أيضا في مكان آخر :

« ولما نظروا - يريد أعضاء الوفد - في الشروط التي اشترطناها في اقتراحنا وعلقناها على ذلك الاعتراف - يريد الاعتراف مبدئيا باستقلال مصر - سلموا بانها وإن كانت شروطا لا يقبلها الوطنيون المتطرفون لكنها من الشروط التي يستطيعون أن يسوغوها ويبرروها أمام أبناء وطنهم لكونها تطابق حالتهم القومية وكونهم أمة قائمة بنفسها ، فإنهم لا يستطيعون المحافظة على تلك الحالة إلا إذا أيدتهم بريطانيا العظمى فيها ، ويحق لبريطانيا

العظمى ان تأخذ بدلا معقولا لهذا التأييد الذى لا غنى عنه لمصر وهذا البديل انما هو الاشراف على سياسة مصر الخارجية وابقاء قوة فى أرض مصر لقضاء أغراض الامبراطورية»

وقال فى مكان آخر :

« وكان من الضرورى فى اعتبارنا كما قلنا للمصريين فى أول الامر ان المعاهدة التى نذكر فى عقدها مع مصر لا تعقد عقدا عرفيا فقط ، بل عرفيا وأديا أيضا اذا أريد ان تكون لها قيمة حقيقية فهى تكون شكلا معاهدة بين الحكومة البريطانية والحكومة المصرية ، ولو كن عقدها بين الحكومتين فقط غير كاف ، لانه يمكن ان يقال دائما بذلك ان الحكومة المصرية لم تكن حرة مختارة فى عقدها ، بل انها كانت مكرهة على قبول كل شرط تشترطه بريطانيا العظمى ، وانها على كل حال اتقراطية استبدادية لا تمثل الشعب المصرى حقيقة . فلذلك كان من الامور الجوهرية فى مشروعنا ان لا تنفذ المعاهدة الا اذا وافقت عليها جمعية مصرية تنوب عن الامة المصرية نيابة حقيقية ، فاما ان تكون الجمعية التشريعية الحالية التى أوقفت جلساتها منذ نشوب الحرب أو تكون هيئة جديدة تنتخب لتلك الغاية وذلك أفضل . ولكن المصريون أولى منا نحن بأن يحكموا أى جمعية تعد عندهم أحسن جمعية تمثل رأى الامة ، وانما ينبغى على كل حال ان تكون جمعية منتخبة من الشعب تتناقش وتتداول بتمام الحرية وتتخذ قراراتها بلا ضغط عليها من أى جهة من الجهات رسمية أو غير رسمية »

وقال فى موضع آخر :



« لما بلغت المسألة هذه المراحل - يريد مرحلة اعطاء المشروع للوفد - اقترح المصريون توقيف البحث والمناقشة الى حين، ريثما يزور بعض أعضاء الوفد القطر المصري ليوضحوا للناس هناك ماهية التسوية التي تميل هذه اللجنة الى تحبيذها والمنافع العظيمة التي تنتفع بها مصر منها، فاذا احسن الناس ملقاهاهم كما كانوا يؤملون، كان ذلك توكيلا لهم يسوغ للوفد بعد رجوع رساله ان يتكفل بتأييد اقتراحاتنا بلا قيد ولا شرط. وكان لهذا الاقتراح مزايا ظاهرة في نظر الاعضاء المصريين، لانه يمكن رسالهم ان يحثوا على قبول بعض الشروط من غير أن يتقيدوا بها، فلا ينفردون لذلك عن حزبهم اذالم تقابل تلك الشروط بالرضا والاستحسان. وكان لهذا الاقتراح مزايا لنا نحن أيضا لان المناقشة التي تقع بين الجمهور في مصر على أثره تمكننا من سبر غور الرأي العام المصري اكثر مما تيسر لنا سبره فيما مضى، وان تقارن بين قوة المعتدلين وقوة المتطرفين من انصار الحركة الوطنية» وقال أيضا

« فاذا تمت لنا هذه النتيجة في اعطاء الصفة السياسية لممثلي مصر في الخارج، فان ذلك نافع لئلا محالة لانه اذا بقى قوم من المصريين غير راضين بالمصالحة، وبقوا مصريين على ادامة الدعوة ضدنا كما هو المنتظر، اضطر الممثلون الرسميون لمصر أن يسعوا الى كبح جماحهم وايقافهم عند حدهم، اذ لا يسع معتمداً مصرياً الا الاعتراض على كل عمل يعمله أبناء وطنه ضد حليفة مصر وذمه والنفور منه، والا قصر في الواجب عليه وتعرض للعزل عن منصبه - ظهرت الاهمية العظمى التي يعلقها رجال الوفد على مسألة

( حالتهم القومية ) أتم الظهور لما شرعنا نبحث في مصلحة بريطانيا العظمى الحربية بمصر من حيث الدفاع عن مواصلاتها الامبراطورية فكان رأيهم ان مصر تستطيع أن تعطى بريطانيا العظمى - متى كانت حليفها - قاعدة في أرضها من غير أن يقدح ذلك بعزة نفسها أى أنها تعطىها مكانا مئيعا لاساحتها ونقطة ارتكاز في سلسلة استحكاماتها الامبراطورية التي تربط الشرق بالغرب، ولما رأوا ان بريطانيا العظمى تستلم زمام الموارد المصرية كلها أيام الحرب، وخصوصا كل وسائل المواصلات والسكك الحديدية وميادين الطيران الخ لإدارة الاعمال الحربية، بل رحبوا بهذا الحكم لانه يثبت ان الاتفاق من الجانبين، يعقود بين البلدين بدليل ان مصر تعطى شيئا بدلا مما تأخذه، فكما ان بريطانيا العظمى تتعهد في معاهدة المحالفة التي تعقد بينها وبين مصر بان تدافع عن مصر فكذلك مصر يجب عليها عدلا وانصافا أن تفعل شيئا لمساعدة الامبراطورية البريطانية اذا دخلت بريطانيا العظمى في حرب ولولم يكن لمصر مصلحة فيها مباشرة. وأصعب من هذه المسألة مسألة ابقاء قوة عسكرية بريطانية بمصر أيام السلم وفيها أيضا لم يهتم المصريون - أى أعضاء الوفد - بعدد تلك القوة بقدر ما اهتموا بصفتها، فبقاؤها في مصر سائغ عندهم مادامت تعتبر قوة يقصد بها قضاء غرض خارجي.

وقال كذلك

« صحيح ان الحزب الوطنى وآخرين من المتطرفين حملوا على التسوية - أى تسوية مشروع ملنر - المنوية حملة منكرة في أول الامر وقال الناقدون

الاستقلال المنوى لمصر ليس استقلالاً حقيقياً واحتجوا خصوصاً لعدم ادخال السودان في المشروع وقام في مقدمة المعارضين اربعة من امراء البيت الخديوى فانهزوا الفرصة ونشروا في الجرائد في ١١ سبتمبر سنة ١٩٢٠ تصريحاً بان آراءهم لم تتغير وأنهم لا يؤيدون اتفاقاً يضيق نطاق استقلال مصر، ولكن هذه المظاهرة لم تؤثر في الجمهور تأثيراً يذكر» وقال أيضاً

«واكن من البين انه لا يزال هنالك معارضة يجب التغلب عليها، وان في مصر اناسا كثيرين لم يتشربوا روح الاتفاق بل لا يزالون معادين لحسن التفاهم بين بريطانيا العظمى ومصر لسبب من الاسباب فهم يرتابون في نيات هذه البلاد» ثم قال :

ولكنهم يريد من سمائم اقطاب مصر - يرحبون بمعاهدة تحالف تعقد بين الفريقين باختيارها تقرر استقلال مصر وتنيل بريطانيا العظمى كل التأمينات والضمانات التي تراد من الحماية بالمعنى الذي نفهمها به نحن» وبعد ذلك قال :

«وقد قل ما كان من الجفاء والحققد وضعفت الدعوة العنيفة التي كانت غالبية الى عهد قريب . ومالت البلاد الى الهدوء والسكون . فالوقت ملائم لاقراء علاقات بريطانيا العظمى ومصر على قاعدة موافقة دائمة، وهي قاعدة المعاهدة التي تقرر لمصر استقلالها وتضمن لبريطانيا العظمى مصالحها الجوهرية . ومزية ذلك لبريطانيا ومصر ظاهرة . اما لبريطانيا العظمى فلانه

يحدد مصالحها تحديدا واضحا ويقرها في معاهدة يقبلها المصريون فلا ينازع فيها منازع بعد ذلك، وأما لمصر فلانه ينيلها ضمان بريطانيا العظمى لسلامتها واستقلالها «

\*  
\* \*

أيها السادة

أطلت عليكم تلاوة هذه العبارات من تقرير لورد ملر . ولست أرى رأيي حتما أن أتلوها عليكم لتستطيعوا أن تبحثوا معنا وجوه السياسة البريطانية فيما تنسجه من الاشرار والحبائل للقضاء على استقلالنا. انظروا كيف يقول اللورد ملر ان المتطرفين من الحزب الوطنى وغيره هم الذين يأبون الاتفاق . ثم انظروا كيف يقول ان فى الاتفاق المطلوب مزية لبريطانيا ولمصر ، ويصف مزيته لبريطانيا بانه يحدد مركزها فى مصر تحديدا واضحا لا ينازعها فيه منازع فى المستقبل - اى ان الاتفاق الذى يريدونه والذى يأباه الحزب الوطنى هو الاتفاق الذى يصبح مركز بريطانيا الباطل فيجعله شرعيا - ثم يصف مزيته لمصر بانه يجعلها تنال ضمان بريطانيا لسلامتها واستقلالها . أى انه اتفاق يعطى بريطانيا حق الدفاع عن سلامة مصر واستقلالها وليست الحماية شيئا غير ذلك. اذن تكون مزية هذا الاتفاق لنا انه ينيلنا الحماية

هذا كلام جلى واضح. هذه لغة صريحة يخاطبنا بها الساسة البريطانيون اولئك الساسة الذين لم ينحرفوا عن منهجهم وغايتهم قيد شعرة واحدة، فهم ثابتون الى الان يخاطبونا بهذه اللغة ويجاذبوننا الحديث بهذا الاسلوب،

بل انهم اقص عليكم نبأ المنهج الجديد الذى جعلت بريطانيا تنهجه فى سياستها الاستعمارية معنا ومع سوانا. لقد وقف اللورد ملر صاحب هذا التقرير يخطب سنة ١٩١٩ فى بيان ما سيتخذونه من وجوه السياسة وأساليبها ليخدعوا الشعوب المنكوبة بتسلطهم عليها. قال اللورد ملر فى تلك الخطبة: « لقد قبلنا ان نعامل ممتلكاتنا معاملة الاحرار من الامم على شرط ان نحفظ لانفسنا بالزعامة بصفتنا رأس العائلة » الى ان قال « وسيجتمع المؤتمر الامبراطورى فى سنة ١٩٢١ ليضع نظاما يقضى بالاستقلال الذاتى التام للمستعمرات » قال لورد ملر هذا الكلام فى خطبته سنة ١٩١٩ وكان ما أبانه فيها أيضا ان تكون المستعمرات مرتبطة بعضها ببعض فى الشؤون الخارجية بحيث تكون جميعها عارفة ومشاركة فيما يجرى من هذه الشؤون على كل مستعمرة منها .

هذا أيها السادة هو نظام العائلة الامبراطورية ، وهو نظام الدائرة الامبراطورية المرنة . الدائرة التى يريدون أن تتألف من كل الشعوب المنكوبة بتسلطهم عليها وأن يكون كل شعب من هذه الشعوب حلقة فيها . فالخطة التى اتبعها ملر فى مشروعه وتقريره هى عين الخطة التى اتبعها كرزون فى مشروعه ومفاوضته . وهى أيضا عين الخطة التى اتبعوها فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ . نعم وانها هى الخطة التى يريدون الاتفاق على مقتضاها والتى يطلبون مفاوضة البرلمان من أجلها وفى حيزها .

أيها السادة : هذه حقيقة الواقع من أمر السياسة البريطانية . والحزب الوطنى الذى عرف هذه السياسة وأدرك ما وراءها من الخطر الشديد على

استقلالنا وحياتنا يأتي مفاوضة البريطانيين قبل الجلاء لأن المفاوضة قبل الجلاء لا تكون الا تنفيذاً لهذه السياسة البريطانية الاستعمارية . الجلاء في مقدمة طلباتنا . واذا لم تكن بريطانيا تنوى القضاء على استقلال مصر واسقاط ما في يدنا من حجة شرعية فلماذا لا تنفذ هذا الجلاء ؟ لقد قلنا كثيراً ان بريطانيا لم تكن قبل المفاوضة تستطيع أن تدعى ان لها في مصر مصالح خاصة ثم استطاعت بعد المفاوضة وبالمفاوضة أن تدعى هذه الدعوى . ونحن كنا قبل المفاوضة صفاء واحداً نجاهد ونكافح فما سمعنا في خلال الاعوام الطويلة التي ملأناها جهاداً وكفاحاً أن بريطانيا قالت ان لي مصالح خاصة في مصر ، أو أنني أطلب ضمانات لحقوق لي على مصر . ولكنها لما جذبت بعضنا الى المفاوضة ادعت في وجوههم هذه الحقوق وتلك المصالح الخاصة فجاروها عليها واذ ذاك رأيت ان هذه المجازاة تسليم وأن لها من الآن أن تدعى ما نسمعه اليوم مما لم تكن نسمعه قبل اليوم

أيها السادة :

يسألوننا ماهي الطريق العملية للاستقلال والجلاء . يقولون اذا لم تكن المفاوضة فاخبرونا يا رجال الحزب الوطني ماهي الطريق التي تتخذونها غير المفاوضة . فرحباً بالسائلين . مرحباً بمن يطلبون الحقيقة وينشدون الصواب . الحزب الوطني يقول لكم ان الطريق العملية للجلاء هي ارادة الجلاء . هي الفكرة . هي الايم . ان الصحيح - هي العقيدة التي اذا صدقت ورسخت في القلوب سخرت لصاحبها كل قوة في هذا الكون . نحن مسلمون نعرف تاريخنا ونعرف من تاريخنا سيرة أبطال الاسلام

وعظمائه . فهل نسينا أمثال خالد بن الوليد ذلك البطل الذي سار بجيشه القليل وعدته الضئيلة ليحارب الآلاف المؤلفة من أصحاب القوة والبطش ؟ هل نسينا أن النصر كان دائماً معقوداً بلوائه ؟ هل نسينا أنه كان يسير بجنوده القليلين يقطع الصحارى الجرداء التي لا زرع فيها ولا ماء فلم يترك وراءه واحداً من جنوده مريضاً أو ثائلاً أو متخلفاً أو هارباً، وكانت الأرض تهتز تحت أقدامهم ؟ نخبرونا أيها السائلون بماذا كان ينتصر أسلافنا هؤلاء مع قلتهم ورقة حالهم على أعدائهم الأقوياء المرهوبين ؟ هل كانوا ينتصرون بغير العقيدة ؟ هل كانوا ينتصرون بغير الثقة بالنفس وقوة الإرادة ؟ هل كانوا ينتصرون بغير يقينهم أنهم أهل حق له قوة تهزم الأقوياء وتقهّر الطاغين ؟ أحدثكم بمثلين من الأمم التي جاهدت لاستقلالها مع بريطانيا التي هي خصمنا الآن

أحدثكم حديث أميركا فقد كانت بريطانيا تستذلها وتملكها، وكانت قوتها في جهادها أمام خصمها ضعيفة كقوتنا نحن الآن . واذكر اني قرأت كتاباً كتبته وشنطن زعيم أميركا في جهادها الى أحد أصدقائه قال فيه : -

« انني واثق ان أميركا ستفوز في النهاية . وإذا كانت قوتنا ليست شيئاً يذكر الى جانب قوة بريطانيا ، فإن لنا مع ضعفنا هذا أعظم قوة تكفل لنا النصر . وتلك هي العقيدة الوطنية » . وقد أرادت بريطانيا أن تفاوض الأميركيين فقرروا في مؤتمر فلادلفيا رفض كل مفاوضة قبل جلاء آخر جندي بريطاني عن الأرض الأمريكية

وأحدثكم حديثاً آخر عن جنوب أفريقيا . انتهت الحرب بين أمه البوير وبين انكلترا بعقد مؤتمرات بلومفونتين ، وكان يومئذ على رأس البويرين الزعيم كروجر الذي أراد أن يقنع الاكثرية بقبول الاتفاق مع الانكليز على غير الاستقلال الصحيح ، وكانت في هذه المؤتمرات اقلية تعارضه وتأبى أى اتفاق لا يحقق الانفصال التام ، وقد رأى الرئيس كروجر وقتئذ أن يتغلب على هذه الاقلية ، وكان المستر شمبلن قدم شروطه وعرضت على مؤتمرات بلومفونتين . فلما علم بقهر الاقلية الصالحة والتغلب عليها وضع شروطاً أخرى أشد قسوة - فاذا علم الذين يحاربوننا انهم انما يحاربون بلادهم ويمكنون الغاصب بعملهم هذا من التحكم في الشروط التي يملها عليهم ، وفكروا جيداً ثم أرادوا الخير لبلادهم كان عليهم أن يقلعوا عن خطتهم في محاربتنا .

لقد ضربنا لكم الامثال التاريخية من شمال أمريكا الى جنوب أفريقيا . من القطب الشمالى الى القطب الجنوبى من الكرة الارضية . وكلها تنطق بصحة مبادئ الحزب الوطنى وتدل دلالة واضحة على ان الحرب التي يشهرونها عليه ليست الا حرباً موجهة الى مصلحة بلادهم ، بل هي حرب تمكن الغاصب من رقابهم ورقاب أمتهم

أيها السادة

ان الذين يقولون ان فى استطاعتنا أن نرتبط الآن بعهد مع الانجليز ونوقع لهم اتفاقاً لا يحقق آمالنا ، ولا يمنعنا فى قابل الايام أن نسمى لنحصل على الآمال الباقية انما هم ضعاف فى السياسة وفى تقدير الحقائق . ذلك



لان مركز الغاصب في مصر لم يكن مرتكزاً على شيء من الحق والعدل  
وهما سلاحنا الاول في كل جهودنا . فاذا نحن وقعنا برضانا واختيارنا عقداً  
فاننا نسد في وجوهنا طريق المطالبة المشروعة المؤسسة على الحق والعدل  
وهما غذاء كل حركة وطنية في العالم . وفوق هذا نكون قد مكنا بريطانيا  
من تصحيح مركزها الباطل والذي يبقى أبداً الدهر باطلاً مادامنا على  
حقوقنا حفظاء

يقولون اننا بعد الاتفاق نستطيع أن نؤلف جيشاً وننشئ أسطولاً .  
هذا هو الخيال الخالب والوهم الكاذب . فان انك تراستقف في طريقنا  
وتسائلنا لماذا أنشئ هذا الجيش وذلك الاسطول - بعد ان ضمنت هي  
سلامة بلادنا والدفاع عنا وبعد ان قبلنا منها ذلك - وهي اذ ذلك ستعتبر  
كل التجهيزات العسكرية التي تقوم بها بمثابة العمل العدائي الموجه اليها  
مباشرة . وقد رأينا في الحرب الاوربية القريبة العهد منا ان مجرد تعبئة  
الجيش في دولة مستقلة اعتبر عملاً عدائياً موجهاً الى جيرانها وجر ذلك  
الى الحرب العالمية . وكيف نستطيع أن نجر دالجيش على زعمهم والمندوب  
السامي بين ظهرانينا ، والنقطة العسكرية البريطانية في أرض بلادنا ،  
والمحققون العسكريون مقيمون بيننا ، والمستشار المالي يراقب ميزانيتنا ؟  
ليس خصومنا ضعافاً في السياسة فقط بل هم كذلك ضعاف في قوة  
العقيدة الوطنية . يتعامون عما فعلته شعوب العالم وأمم الارض التي كانت  
تحت نير الاستعباد ثم خرجت بقوة العقيدة الى نور الحرية . يجهلون قوة  
العقيدة الوطنية التي تمشي من السجون الى الكواخ الصغيرة ، ثم الى

القصور العالية حتى اذا تمكنت من القلوب نسخرت لاصحابها كل القوى المادية . فهي سر من أسرار الوجود ، بها تأسست المدينيات وعاليها قام استقلال الأمم . على ان مركز مصر السياسى ومركز بريطانيا فيها غير الشرعى يحملاننا على أن نقول ان بريطانيا نفسها اذا اقتنعت اقتناعا صحيحا بأن الامة كلها صحيحة العزم على تحقيق مطلب الجلاء ، وانها لا تستطيع أن تنفذ الى اضعاف هذا العزم من أى منفذ فى صفوف الامة فهناك لا ترى بدا من الجلاء

أطلبوا أيها السادة ممن يشككونكم فى مطلب الجلاء ويقنعونكم بأن هذا المطلب خيالى . اطلبوا منهم أن يقنعوا بريطانيا نفسها بأن قبولنا احتلالها بلادنا هو الامر الجدير بأن يكون خياليا . اطلبوا منهم أن لا يضعفوا قوة عقيدتكم وأن يزعموا بقوة ارادتهم ذلك الاحتلال البريطانى . هذا هو البر بالوطن وليس البر به أن يسمعونا كل يوم صوت الذلة والمسكنة

أيها السادة :

انهم شغفوا وتيموا بمحاربة الحزب الوطنى . صارت محاربة الحزب الوطنى غراما لهم وهوى معشوقا . ولكن ماذا يريدون من وراء هذه الحرب الشعواء ؟ هل يريدون القضاء على الحزب الوطنى ؟ هل يريدون ألا يروا لنا ظلا ولا يبصروا مثالا ؟ ان كانوا يريدون ذلك فقد عجزوا عن أن يصلوا اليه بوسائلهم ولكنى أنا أدلهم على الطريقة التى يقضون بها على الحزب الوطنى . اذا شاءوا أن ينسفوا الحزب الوطنى نسفوا واذا

أرادوا أن يسحقوه، فأنا أعلمهم كيف ينسفونه وكيف يسحقونه، فانه شيء سهل جداً . نعم اذا أرادوا طريقا يقضون به على الحزب الوطنى فلا يجدوا أمامهم واحداً من رجاله فى طريق الانتخابات، فأنا أدلهم على هذا الطريق وهو طريق واحد ليس له ثان . أدلهم عليه بكل نزاهة وشرف . هذا الطريق أيها السادة: هو أن يعتنقوا مبادئنا ويعملوا من أجلها .

## خطبة

١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٣ فى حي الموسيقى

أيها السادة : أيها الاخوان الاعزاء

أشكركم على توجيهكم الدعوة الينا لنحضر هذا الاجتماع الجميل . وقد كنت أريد أن أكون الليلة مستمعا ، ولكنى لم أكد آخذ مكانى معكم، حتى سمعت كلام خطباتكم الابرار ، فبرزنى الشغف بقضية الوطن حتى وجدت فى نفسى شوقا الى الكلام لا حدثكم عن هذه القضية المقدسة، قضية الآباء والاجداد ، قضية الابناء والاحفاد

كنت أريد أن اعتذر الليلة بضعفى وتعبي ولكن أحداخواننا اطلعنى الآن على خطاب للمسترجلادستون وقرار مؤتمر السلام. ولم أكد أرى ما رأيت وأسمع ما سمعت، حتى شعرت بنشاط وقوة فعامت من جديد انه لا تعب الا تعب الاحتلال ، ولا ضعف الا ضعف العقائد الوطنية (هتاف وتصفيق) أيها السادة:

اذا شئتم أن أحدثكم حديث الاستقلال الذاتى ، حديث الاستقلال

الداخلي . فلا يصعب علينا أن ننظم قلائد المدح لهذه الوزارة ونصب  
جام الغضب على تلك الوزارة . لا يصعب علينا أن نكيل المدح انتباطا  
لفلان وفلان ، ونرسل صواعق الذم على فلان وفلان . متعمدين أن نتجاهل  
الخصم المشترك الذي هو الاحتلال ، و نتناسى الغاصب الوحيد الذي هو  
المحتلون . واكفى أتكلم بلسان الحزب الوطنى ، والحزب الوطنى  
لا يعرف خصما غير الغاصب ، ولا يعرف موصعا للخصومة غير الاحتلال ،  
ولا يريد لكم سوى الاستقلال التام الذى يفهمه ، فهو لا يقيم المشاجرات  
كل ساعة بينه وبين بعض الناس من أجل التنازع على الاستقلال الذاتى الذى  
لا شاء فيه ، والاستقلال الداخلى التام كما يقولون . لهذا أيها السادة لا تنتظروا  
من الحزب الوطنى أن يحدثكم فى شىء غير قضية البلاد . ولا فى استقلال غير  
الاستقلال الكامل لوادى النيل ، استقلالا لا يتحقق من دون الجلاء  
نعم اذا أردنا أن نتكلم معكم فى هذا الوقت العصيب ونحن قادمون  
على شئون خطيرة وأعمال جسيمة ، فيجب أن نتكلم عن قضيتنا فى ذاتها  
وأن نذنب المناقشة فى مكانها اللائق بها .

لا يمكنكم أن تعرفوا القضية المصرية الا اذا وجهتم نظركم الى  
الوراء ثلاثين سنة . فان أنتم فعلتم ذلك رأيتم صفحات من الماضى مملوءة  
جهادا ونضالا ، وأبصرتم الحزب الوطنى واقفا يكتب يمينه هذه  
الصفحات ، ويستمد لها مدادا من دماء المهرج الغالية التى أراقها اضطهاد  
الغاصب وتعذيبه ، ومن دموع الاعمى التى ابيضت حزنا على ما أصاب  
البلاد من احتلال مشثوم واغتصاب مذموم

ثلاثون سنة قضائها الحزب الوطنى يناضل الغاصب ويعارضه ،  
ويفسد عليه خططه الاستعمارية ، ويغذى روح الامة بشعور الوطنية  
الصادقة ، ويبعث فيها الحياة والامل ، ويدلها على طريق الحق الكامل ،  
ويعلمها كيف تجاهد لتنااله وتحرس عليه فلا تفرط فى شىء منه . وه اقصر  
الحزب الوطنى فيما كان لابد من فعله ، وهو اقامة الحجة كل سنة فى وجه  
الغاصب وامام العالم بالاحتجاج على الاحتلال وانكاره باسم الامة حتى  
لا يتخذ خصمنا المحتمل من سكرتنا دليلا على الرضا باحتلاله وحتى لا يجعل  
عدم الاحتجاج برهاناً على قبول هذا الاحتلال

ثلاثون سنة ، لا ثلاثون ساعة ، ولا ثلاثون يوماً ، ولا ثلاثون  
أسبوعاً ، ولا ثلاثون شهراً - ثلاثون سنة قضيناها فى جهادنا الوطنى  
فاستطعنا بفضل الثبات والمثابرة وقوة العقيدة أن نتزع من الانكباب ستة  
وستين تصريحاً قالوا فيها كلها انه لاحق لهم فى مصر وان وقت الجلاء قريب  
أذ كرم من مواقف الحزب الوطنى بموقف أشار اليه بعض الأطباء  
المجاد فى هذه الليلة ، ذلك موقف المرحوم مصطفى كامل استطاع أن  
يأخذ فيه تصريحاً ببطالان الاحتلال من المستر جلا دستون ، شيخ شيوخ  
الانكليز ، وداهية دهاتهم . فاسمعوا حكاية هذا الموقف العظيم :

أرسل المرحوم مصطفى كامل يوم ٢ يناير سنة ١٨٩٦ الى المستر  
جلا دستون الكتاب الآتى :-

أيها السيد المبجل

« اسمعوا لاحداً بناء وادي النيل ، لوطنى لأمنية له التحرير بلاده .

أن يقصدكم اليوم يسألكم عن رأيكم في حل مسألة مصر . فقد كنتم منذ احتلت إنجلترا وطننا أشد نصراء الجلاء ، وجاهرتم مرارا عديدة بأعلا صوتكم انه لا يليق ببريطانيا العظمى أن تحتل مصر الى أجل غير محدود فان هذا يمس بشرفها أشد المساس . واننا قد سجلنا كل تصريحاتكم وحفظنا مجاهراتكم واذا كنتم لم تستطيعوا الوفاء بوعودكم حينما كانت السلطة في يديكم لأسباب نجهلها جهلا تاما، فاننا لانزال نظن اعتقادكم الآن كاعتقادكم في سالف الزمن . أى انه ليس لمسألة مصر الا حل واحد وهو الجلاء . ولهذا رأيت من المفيد ان أرجو منكم في هذا الوقت الذى اضطربت فيه أحوال المسألة الشرقية ان تعرفونا حقيقة احساسكم نحو حظنا . فان كنتم لانزالون من نصراء الجلاء، كما نظن ذلك ففى تظنون انه يمكن تحقيق هذا الجلاء المنتظر من زمن بعيد ؟ وفضلا عن ذلك فان تصريحاتكم بشأن مسألة مصر يكون له أعظم أهمية في هذه الايام ، التى يحسب فيها الجرم الغفير من أبناء ديننا المسلمين انكم أكبر عدو رآه الاسلام . وانى مع انتظارى الجواب على كتابى هذا ، أرجو منكم أيها السيد المبجل أن تتفضلوا بقبول عظيم احتراماتى »

كتب المرحوم مصطفى كامل هذا الكتاب الى المستر جلادستون منذ ٢٨ سنة ، وبعبارة أخرى منذ ٢٤ سنة قبل يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ وكان مصطفى كامل يومئذ شابا فى الحادية والعشرين من عمره، وستعلمون اذا سمعتم رد المستر جلادستون عليه وهو ماسأتلوه عليكم الان، ان مصطفى الشاب انتزع بكتابه هذا اعترافا عظيما من أدهى داهية انكليزى فى زمانه ولم

ينزع هذا الاعتراف الا بقوة عقيدته الوطنية، وثقته الصحيحة بمستقبل بلاده  
قال المستر جلا دستون رداً على كتاب مصطفى كامل :

« سيدى العزيز

انى أستحسن مافهمته من احساساتكم نحو بلادكم بصفة كونكم  
مصريا ، ولكننى مجرد تمام التجرد عن كل سلطة . أما آرائى فانها لم تتغير  
قط وهى دائماً انه يجب علينا أن نترك مصر بعد أن نتمم فيها بكل شرف  
وفى فائدة مصر نفسها العمل الذى من أجله دخلناها . وان زمن الجلاء  
قد وافى مندسنيين . ولما كنت فى منصبى أخيراً أملت مساعدة الحكومات  
الآخرى توصلا الى تسوية هذه المسألة المهمة ، والمسلك الذى اتبعه مسيو  
وادنجتون فى عام ١٨٩٢ شجع أملى ، غير ان المخبرات لم تخط خطوة واحدة  
مع عظم ما أملنا اذ ذاك . ولست أدري لاي سبب . ولقد جاهرت بكل  
تصريحاتى فى مجلس النواب سنة ١٨٩٣ ولم يبق عندى شئ أضيفه اليها .  
ولكننى كنت مستعدا لعمل كل حسن فى سبيل اعطاء آرائى تأثيرها . الا  
انى تركت المنصب أتم ترك ولست الآن الا أحداً بناءً بلادى الخصوصيين  
وانى أشرف بأن أكون منك الخاضع الصادق

( جلا دستون )

بيارتز فى ١٤ يناير سنة ١٨٩٦

\*\*\*

أيها السادة:

هذا هو كتاب المستر جلا دستون الى المرحوم مصطفى كامل ترون  
فيه اعترافه بان زمن الجلاء قد وافى مندسنيين . وذلك هو كتاب مصطفى

كما مل الى المستر جلا دستون فهل تجدون فيه اعترافا للانكيز باى حق من حقوق الوطن ؟ هل ترون فيه ضعفا فى العقيدة ، أولينا فى المطالبة أو خورا فى العزيمة الوطنية ؟ وقد كان جواب جلا دستون جوابا لمن اعتقد ان له وطنية ثابتة وعقيدة راسخة .

قضينا ثلاثين سنة كنا نجاهد خلالها الجهاد الدائم الشريف وما كنا نعرف لجهادنا عدة غير العقيدة الثابتة ، ولا سبيلا غير الوطنية الصحيحة ولا سلاحا غير الاعتماد على الله وعلى أنفسنا .

ولما كانت الحركة فى سنة ١٩١٨ ، وهى ثمرة غرس الحزب الوطنى تقدم شيوخنا . فقلنا يجب أن تفسح المجال لكل من يريد العمل . ولا كنا لم نلبث أن رأينا شيوخنا هؤلاء يذهبون الى المعتمد البريطانى ويمكثون فى حضرته تلك الدقائق الثلاثين التى ساموا فيها بأمورا اذا تمت للغاصب أضعاف كل حق لهذا الوطن البائس وهذه الامة المسكينة

لسنا ندعى شيئا من عند أنفسنا ، ولا نحن نتجنى على أحد ، ولكن ما حيلتنا ؟ وتلك الامور واقعة بين الايدى وتحت الابصار

اسمعوا أيها السادة ما قاله شيوخكم لعמיד الاحتلال والحماية . قالوا له : « نحن متى ساعدتنا انكلترا على استقلالنا التام فاننا نعطيها ضمانا معقولة على عدم تمكين أى دولة من استقلالنا والمساس بمصاحبة انكلترا ، فنعطيهما ضمانا فى طريقها للهند ، وهو قنال السويس ، بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلاله عند الاقتضاء ، بل ونحالفها على غيرها و تقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود » ثم قالوا : « يبقى أمر آخر خارج عن هذا



المعنى وهو حقوق أرباب الديون من الاجانب فيمكن بقاء المستشار المالى الانكليزى بحيث تكون سلطته هي سلطة صندوق الدين العمومى » ثم قالوا : « نحن نعترف الآن ان انكلترا هي أقوى دولة فى العالم وأوسعها حرية . اننا نعترف لها بالاعمال الجليلة التى باشرت بها فى مصر ونطالب باسم هذه المبادئ التى نصرتها الآن أن تجعلنا أصدقاءها وحلفاءها صداقة الحر للحر . واننا نتكلم بهذه المطالب هنا معك بصفتك مشخصا لهذه الدولة العظيمة . وعند الاقتضاء نسافر للتكلم فى شأنها مع ولاة الامور فى انكلترا . ولا نلتجىء هنا لسواك ولا فى الخارج لغير الدولة الانكليزية . ونطلب منك بصفتك عارفا لمصر مطالعا على أحوالها أن تساعدنا على هذه المطالب » هذا ما قاله شيوخكم لعميد الاحتلال والحماية فاعترفوا لانكلترا بحق احتلال قناة السويس وبحق مساعدتها بجنود من المصريين فى كل حرب تقع بينها وبين الدول الاخرى . وبحق الاشراف على مائتنا بسلطة مطلقة . وبحق اختصاصها بحل المسألة المصرية دون سواها . ثم اعترفوا فوق ذلك كله بان انكلترا قامت باعمال جليلة فى مصر .

أما الحزب الوطنى ، فانتم والامة كاهاشهود عليه ، قضى فى جهاده ثلاثين سنة فهل رأيتموه اعترف لانكلترا بحق فى القناة ، أو بحق فى المالية ، أو بحق حمايتنا بتمكينها من الدفاع عن سلامة استقلالنا ؟ كلا . لم يعترف الحزب الوطنى لانكلترا بشيء من هذه الحقوق بل كان خصما لها ، يجعل الخصومة ناشئة عن الاحتلال ، ويجعل الحل لهذه الخصومة حلا واحدا هو الجلاء خبرونى أيها السادة اذا قلنا للانكليز اننا قد أخذنا من شيوخكم

وكبار ساستكم اعترافات، تؤيد حقوقنا هي كيت وكيت فبماذا نجيبهم اذا قالوا لنا ونحن قد أخذنا من شيوخكم أيضاً اعترافات بان لنا عندكم حقوقا هي كيت وكيت؟ بماذا نجيبهم اذا قالوا لنا ان الاعترافات التي أخذتموها من شيوخنا سابقة للاعترافات التي أخذناها من شيوخكم فاعترافاتنا سابقة واعترافاتكم لاحقة واللاحق ينسخ السابق؟ بماذا نجيبهم اذا قالوا لنا ان شيوخكم اعترفوا يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨، بأن لنا حق البقاء في مصر ندافع عن سلامتها ونتصرف في مالياتها ونأخذ أبناءها جنودا يحاربون من نحاربهم ويوالون من نواليهم؟

أما نحن معشر الحزب الوطني فنستطيع ان نجيبهم جوابا مفحما . ونحن وحدنا الذين نستطيع أن نجيبهم ذلك الجواب المفحم، لا نألم تقيد بما تقيد به سوانا . نستطيع أن نقول للانكليز ان صوت مصر كان مرفوعا في ذلك الوقت جهيرا وكان الحزب الوطني الذي لبث ينطق باسم الامة طول احتلالكم يطالبكم بالجلاء ولا يسلم لكم بأى حق ممتاز في البلاد هكذا يقف الحزب الوطني امام الغاصبين موقف الخصومة الجدية، وهو يعلم أين يكون الاستقلال وأين لا يكون . واذا أردتم أن تعرفوا خطر المسلك الذي سلكه أصحاب يوم ١٣ نوفمبر فارجعوا الى مشروع ملر تجدوه يقضى باحتلال نقطة في بلادنا لحماية المواصلات مستندا في ذلك الى انهم جعلوا هذا حقاً لانكليزاً وسلموا باعطائها نقطة على القناة . ثم انظروا الى مشروع كرزن الذي جاء بعد ذلك فانكم لا تجدون فرقا بينه وبين مشروع ملر في هذه المسئلة، وهاهو تصريح ٢٨ فبراير أمامكم

لاترون فرقا بينه وبين هذين المشروعين . حقا انكم اذا رجعت الى هذه المشروعات قلن تجدوا فيها الا شيئا واحدا هو أن رجالا منكم اعترفوا من أول المفاوضة للانكليز بحقوق أخذوا يتوسعون فيها شيئا فشيئا أيها السادة :

مازلت ولن أزال أكرر الحقيقة التي لا ريب فيها . أكرر أن للخصومة بيننا وبين الانكليز سبباً واحداً هو الاحتلال وان لهذه الخصومة دواء واحداً هو الجلاء . أكرر هذه الحقيقة وأوصيكم أن تحفظوها وأحذركم أن تصدقوا غيرها . واطلب ممن يريدون المفاوضة والاتفاق على قاعدة عدم الجلاء أن يخبروني ماذا يكون موضع الخصومة في هذه الحالة ؟ أطلب منهم أن يخبروني ماذا يكون ذلك الاستقلال الذين يوهمون الناس به اذا اتفقوا مع الانكليز اتفاقاً يترك جندياً انجليزياً واحداً في موطىء قدم من وادى النيل ؟ انهم سيعجزون عن الجواب ، بل سيجيبون جواباً غريباً يحاولون به تسفيه آرائنا هذه ، ويقولون اننا قوم خياليون نسبح في فضاء من الوهم على سفينة من الخيال

ان هؤلاء الناس قلوبا قاسية . كل همهم أن يبرروا كل أعمالهم امام الجمهور . لقد أخذنا عليهم مسالك الحجة في مسألة المفاوضة . عجزوا عن أن يواجهونا بحجة صحيحة فلجأوا الى المغالطة . جاءوا أخيراً بحجة جديدة ظنوا انهم يقهرون بها الحزب الوطنى ونسوا انها حجة تقهرهم اذا تبين للناس وجهها الصحيح . قالوا ان تركيا فاوضت وأخذت استقلالها بالمفاوضة . نعم : فاوضت تركيا . فاوضت مرتين ، مرة وهي ضعيفة مثلكم فكانت

مفاوضتها كمفاوضتكم ، وكانت نتيجتها خبالا ووبالا عليها .  
تلك هي المفاوضة التي قامت بها حكومة الاستانة بواسطة الداماد  
فريدورفاقه ، فقيدتها بقيود واغلال في معاهدة سيفر ، وهي أخبت معاهدة  
عرفها التاريخ حتى الآن . وفاضت تركيا مرة أخرى . فاضت في مؤتمر  
لوزان مفاوضة دولية عامة جمعها مع الدول الكبرى على بساط واحد من  
المساواة والتكافؤ ، وقد خرجت من الاتاضول في طريقها الى المفاوضة  
تكتسح امامها جنود الاعداء لتطهر منهم أرض الوطن فوصلت الى  
الشاطيء تحت ظلال سيوفها وفي رعاية مدافعها وبنادقها حتى اذا وصل  
مندوبوها الى المؤتمر ليحتكموا في مستقبلهم بكامل حريتهم ، جلسوا ولسان  
حالمهم يقول : ان اطلاق المدافع من انقرة دليل على وجود حكومة مستقلة  
في انقرة . هكذا فاضت تركيا مفاوضة القوى العزیز بعد أن أعملت  
سيوفها في أقفية الاعداء الهاريين حتى أجلتهم عن بلادها . أفلاترون بعد  
هذا أنها السادة ان القوم يغردون بكم وانهم يعترفون امام الغاصب بأننا  
ضعفاء فبالهم ينسون أن الضعيف ليس له أن يفاض ولكن المفاوضة  
للقوى ( تصفيق وهتاف : فلتسقط المفاوضة )

سمعت البارحة انهم يتكلمون عن يوم زعموا انه عيد النهضة القومية .  
سمعت انهم يتكلمون عن يوم ١٣ نوفمبر فانتظرت أن أسمع منهم عن  
القضية المصرية شيئاً . ولكني انتظرت عبثاً وذهب انتظاري سدى ،  
فاني لم أجد أحداً تكلم عنها كلمة واحدة . بل تكلموا جميعاً وكلهم تكلم  
عن رشدي وعدلي ونسيم وثروت . وأين الانكليز أيها السادة : لكم

أن تتكلموا عن هؤلاء وعن أعمالهم . ولكن لماذا لم تتكلموا عن الانكليز وعن أعمالهم ؟ اسمحوا لنا أن نقول انكم كنتم تتكلمون في الحكم الذاتي . أما قضية مصر فلم يتكلم عنها أحد

يقولون اننا ضعفاء . يقولون ذلك لامة اسلامية تعرف ان عمرو بن العاص جاء فاتحاً بجيش قليل ضعيف فقال له رجاله : « كيف السبيل الى النصر ونحن قلائل ولا عدة لنا ؟ » فقال لهم : « انكم بالنية نصرتم وبالنية تنصرون » ( تصفيق وهتاف )

ألم يقف الحزب الوطني امام الغاصب ثلاثين سنة حيث لا قوة له ولا مال فلم تستطع بريطانيا أن تأخذ منه اعترافاً بحق واحد بل هو الذي أخذ منها الاعترافات بحقوق مصر الكاملة ؟ هل كان في يد الحزب الوطني شيء من أسباب القوة غير قوة العقيدة الوطنية ؟

اذا جهلوا فعل العقيدة الوطنية فليسألوا انكثرا نفسها كيف اتسعت بلادها وكيف وصلت الى سنام المجد . يقول كتاب الانكليز وفلاسفتهم ان فكرة واحدة كانت سبب كل سعادتهم ، وتلك الفكرة هي ان الانجلو سكسون اعتقدوا انهم أشرف شعوب الارض ، وأن لهم بذلك أن يسيطروا على أمم العالم . ثم هبوا يعملون لتحقيق هذه الفكرة فكانت النتيجة أن ملكوا البر والبحر بتأثير تلك العقيدة وحدها . وورثوا أمة الاسبان . وحملوا محل فرنسا في الهند ، كندا وغيرها . وملاؤا الماء بأساطيلهم والهواء بطياراتهم . لكن أتدرون ماذا يكتب اليوم علماءهم وماذا يقول فلاسفتهم ؟ انهم يقولون « نحن نخشى المستقبل القريب فان

العقائد القديمة التي وصلت بنا الى ذروة المجد بدأت تنزع في صدور شعبنا» يقولون هذا ويشرحونه مفصلاً فيقولون ان آباءنا كانوا يشتغلون خمس عشرة ساعة في اليوم ويتناولون طعامهم في خمس دقائق ، أما الآن فان أحدنا لا يهض من نومه الا قبيل الظهر ، ونحن نأكل خمس مرات في اليوم ونستبدل ملابسنا ثلاث مرات ونطلب دائماً تقليل ساعات العمل يقول البريطانيون أنفسهم : « ان حياتنا وراء البحار أصبحت مزعجة » فاذا سألتهم . لماذا أنتم خائفون ؟ هل ابتلعت البحار أساطيلكم ؟ هل حطمت العواصف طياراتكم ؟ هل احترقت مصانعكم ؟ هل بارت تجارتكم ؟ قالوا : لا شيء من هذا ولكنها الفكرة الوطنية بدأت تتضاءل فينا كما بدأت تنتشر في تلك الامم التي نتسلط عليها وراء البحار ونحن أعرف الناس بأن الفكرة الوطنية تقلب كل شيء ، فبالفكرة الوطنية استعبدناهم وبالفكرة الوطنية سيتخلصون منا ( تصفيق وهتاف )  
أيها السادة :

وضع مؤتمر السلام الدولي قراراً في المسألة المصرية أود أن أتلوه عليكم فاسمعوه .

« حيث ان قناة السويس التي تنقل في الوقت الحاضر ( سنة ١٨٨٢ ) سنوياً ما يربو على سبعة ملايين طن من البضائع والمتاجر وما يزيد على ٨٠ ألف سائح توفر على الجنس الانساني من الوقت والمجهودات ما يمكن تقديره على الاقل بمبلغ مليار ونصف من الفرنكات ( ٦٠ مليون جنيه ) » وحيث ان أي تخريب لقناة السويس أو أي تقييد لحرية الملاحة

فيها أواعاقة المواصلات التي تحصل بواسطتها يكون مصيبة تصيب كل الأمم وتشعر في الحال بنتيجتها

« وحيث ان كل محاولة من أية أمة لتختص نفسها بحق على قناة السويس أو على ملاحقاتها فتنتفع بها وحدها أو تمتلكها أو تحميها أو تحافظ عليها أو تراقب شئونها يجب اعتبارها اعتداء موجهها الى الجنس البشرى كله. ويجب بناء على ذلك أن يقضى على هذه المحاولة كما يقضى على القرصنة سواء بسواء » وحيث انه بناء على ذلك فان جميع الأمم لاسيما البحرية منها يتعين عليها ويحق لها أن تتحد فيما بينها بطريقة سامية لتضع من النظمات ما يضمن للجميع حرية الانتفاع بالقناة وملاحقاتها بطريقة هادئة أمينة . » وحيث ان المؤتمر الذي عقد حديثا في تريايا (الاستانة) من ممثلي دول انجلترا والمانيا والنمسا وفرنسا وايطاليا والروسيا وتركيا قد اعترف بالواجب الذي على الأمم في ذلك وما هن من الحق وقرر هذا المبدأ باجماع الآراء

« وحيث ان ضمانه حرية قناة السويس وملاحقاتها وتوطيد الامن فيها لا يمكن تحقيقهما الا اذا كانت على الحياد التام .

« وحيث ان الأمم الاوربية هي التي تملك تقرير هذا الحياد . »  
« وحيث ان حياد قناة السويس يكون ناقصا اذا كانت المصاغب التي تعترض تقرير هذا الحياد تحل بغير طريقة التحكيم الذي تنفذ أحكامه قوة دولية مختلطة

« فلهذه الاسباب :

« تعلن الجمعية ان مسألة حياد قناة السويس وملحقاتها هي مسألة دولية عامة وان جميع الامم المتعدنة يجب عليها وبحق لها أن تقرر هذا الحياد وتضمن سلامته . أما الحياد فعناه فيما يختص بالقناة نفسها أن يكون المرور منها حراً في كل وقت وفي كل الأحوال وباجر واحد وبشروط واحدة لجميع السفن التجارية والحربية مهما كانت تبعيتها ومهما كان مشحونها وذلك على الشرطين الاساسيين الاتيين : أولهما أن لا تقوم هذه السفن في القناة أو في ملحقاتها بأى عمل حربي سواء كان ذلك مباشرة أو بآية واسطة أخرى وأن لا تنزل فى أى نقطة من القناة أو ملحقاتها جنوداً أو أسلحة أو ذخيرة من أى نوع كان . أما فيما يختص بملحقات القناة فعنى هذا الحياد أن يكون شاطئاتها والمدن الواقعة عليها وموانئها وفروعها وترعها العذبة الآتية من النيل - أن يكون كل ذلك بعيداً عن أى اعتداء من أى مهاجم فى أى وقت من الاوقات . وحينئذ لا تكون عرضة لاحتلال أو تخريب أو تعطيل أو تحويل أو سد لمجراها من أى نوع كان

« ولكى يكون حياد قناة السويس حياً حقيقياً يجب أن تكون الاراضى المصرية أيضاً على الحياد وكذلك مياه البحر الاحمر الذى هو فى الحقيقة امتداد القناة نفسها . واذا تقرر حياد الاراضى المصرية فإن من نتائجها الضرورية اللازمة الاعتراف باستقلال الامة المصرية وحكمها لنفسها اعترافاً مطلقاً من كل قيد . وان هذا الاستقلال يستوجب حتماً زوال سيادتها عن مصر والغاء كل القيود التى قررتها معاهدة سنة ١٨٤٠ وكذلك الغاء كل فرمانات المقررة لهذه السيادة . ولكى تقرر الدول الغاء هذه المعاهدة وما











Bibliotheca  
0519335

